

معالجة الخطأ ببيان الحكم

محمد صالح المنجد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين والصلاة والسلام على نبيه الأمين معلم الخلق المبعوث رحمة للعالمين وبعد :

فإن تعليم الناس من القربات العظيمة التي يتعدّي نفعها وبعمّ خيرها ، وهي حظّ للدعاة والمربين من ميراث الأنبياء والمرسلين " وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الثَّمَلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْخُوتِ لِيُصَلِّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ " رواه الترمذي : سنن الترمذي ط. أحمد شاكر رقم 2685 وَقَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ ، والتعليم طرائق وأنواع وله وسائل وسُبُل ومنها تصحيح الأخطاء ، فالتصحيح من التعليم وهما صنوان لا يفترقان .

ومعالجة الأخطاء وتصحيحها من النصيحة في الدين الواجبة على جميع المسلمين .
وصلة ذلك بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوية وواضحة . مع ملاحظة أن دائرة الخطأ أوسع من دائرة المنكر فالخطأ قد يكون منكراً وقد لا يكون .

وتصحيح الأخطاء كذلك من الوحي الرباني والمنهج القرآني فقد كان القرآن ينزل بالأوامر والنواهي والإقرار والإنكار وتصحيح الأخطاء حتى مما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت معاتبات وتنبيهات كما في قوله تعالى : { عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتتفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى } ، وقوله : { وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه } ، وقوله : { ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم } وقوله : { ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون }

وكان القرآن يتنزل ببيان خطأ أفعال بعض الصحابة في عدد من المواقف . فلما أخطأ حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه خطأ عظيماً في مراسلة كفار قريش مبينا لهم وجهة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في الغزو ، نزل قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل } .

وفي شأن خطأ الرماة في غزوة أحد لما تركوا مواقعهم التي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلزومها نزل قوله تعالى : { حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة } .

ولما اعتزل النبي صلى الله عليه زوجته تأديبا وأشاع بعض الناس أنه طلق نساءه نزل قوله تعالى: { وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم }

ولما ترك بعض المسلمين الهجرة من مكة إلى المدينة لغير عذر شرعي أنزل الله: { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ... الآية }

ولما انساق بعض الصحابة وراء إشاعات المنافقين في اتهام عائشة بما هي منه بريئة أنزل الله آيات في هذا الإفك وفيها: { ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم ، إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم } ثم قال: { ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين }

ولما تنازع بعض الصحابة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وارتفعت أصواتهم نزل قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون }

ولما جاءت قافلة وقت خطبة الجمعة فترك بعض الناس الخطبة وانفضوا إلى التجارة نزل قوله تعالى: { وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين }

إلى غير ذلك من الأمثلة الدالة على أهمية تصحيح الأخطاء وعدم السكوت عنها .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم على نور من ربه سالكا سبيل إنكار المنكر وتصحيح الخطأ غير متوان في ذلك ، ومن هذا وغيره استنبط العلماء رحمهم الله تعالى قاعدة: " لا يجوز في حق النبي صلى الله عليه وسلم تأخير البيان عن وقت الحاجة " .

وإدراك المنهج النبوي في التعامل مع أخطاء البشر الذين لاقاهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأهمية بمكان لأنه صلى الله عليه وسلم مؤيد من ربه ، وأفعاله وأقواله رافقها الوحي إقرارا وتصحيحا فأساليبه عليه الصلاة والسلام أحكم وأنجع واستعمالها أدعى لاستجابة الناس ، واتباع المرابي لهذه الأساليب والطرائق يجعل أمره سديدا وسلوكه في التربية مستقيما . ثم إن اتباع المنهج النبوي وأساليبه فيه الاتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أسوة حسنة لنا ويترتب على ذلك حصول الأجر العظيم من الله تعالى إذا خلصت النية .

ومعرفة الأساليب النبوية تبين فشل أساليب المناهج الأرضية - التي تزخر بها الآفاق - وتقطع الطريق على اتباعها ، فإن كثيرا منها واضح الانحراف وقائم على نظريات فاسدة كالحرية المطلقة أو مستمد من موروثات باطلة كالتقليد الأعمى للأباء والأجداد .

ولابد من الإشارة إلى أن التطبيق العملي لهذا المنهج النبوي في الواقع يعتمد على الاجتهاد بدرجة كبيرة وذلك في انتقاء الأسلوب الأمثل في الظرف والحدث الحاصل ،

ومن كان فقيه النفس استطاع ملاحظة الحالات المتشابهة والأحوال المتقاربة فينتقي من هذه الأساليب النبوية ما يلائم ويوائم .

وهذا الكتاب محاولة لاستقراء الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس على اختلاف مراتبهم ومشاربهم ممن عاينهم صلى الله عليه وسلم وواجههم ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب فيه التوفيق وإصابة الصواب والنفع لي ولإخواني المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو الهادي إلى سواء السبيل .

تنبيهات وفروقات ينبغي مراعاتها عند معالجة الأخطاء

قبل الدخول في صلب هذا البحث يحسن التنبيه على بعض الفروقات والاعتبارات التي ينبغي أن تُراعى قبل وعند الشروع في تصحيح ومعالجة أخطاء الآخرين .

- الإخلاص لله

يجب أن يكون القصد عند القيام بتصحيح الأخطاء إرادة وجه الله تعالى وليس التعالي ولا التشفي ولا السعي لنيل استحسان المخلوقين

روى الترمذي رحمه الله تعالى عن شُفِيِّ الأَصْحَبِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقَالُوا أَبُو هُرَيْرَةَ فَدَتَوْتُ مِنْهُ حَتَّى فَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ فَلَمَّا بَسَّكَتْ وَحَلَا قُلْتُ لَهُ أَنْشُدْكَ بِحَقِّ وَبِحَقِّ لَمَّا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَفَعَلْ لَأَحَدْتِكَ حَدِيثًا حَدَّثْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ تَشَّعَ أَبُو هُرَيْرَةَ تَشَّعًا (أَي شَهَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَغْمِيَ عَلَيْهِ) فَمَكَتْ قَلِيلًا ثُمَّ أَقَابَ فَقَالَ لَأَحَدْتِكَ حَدِيثًا حَدَّثْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَعَيْرُهُ ثُمَّ تَشَّعَ أَبُو هُرَيْرَةَ تَشَّعًا أُخْرَى ثُمَّ أَقَابَ وَمَسَّحَ وَجْهَهُ فَقَالَ لَأَحَدْتِكَ حَدِيثًا حَدَّثْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَعَيْرُهُ ثُمَّ تَشَّعَ أَبُو هُرَيْرَةَ تَشَّعًا أُخْرَى ثُمَّ أَقَابَ وَمَسَّحَ وَجْهَهُ فَقَالَ لَأَحَدْتِكَ حَدِيثًا حَدَّثْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَعَيْرُهُ ثُمَّ تَشَّعَ أَبُو هُرَيْرَةَ تَشَّعًا شَدِيدَةً ثُمَّ مَالَ خَالًا عَلَيَّ وَجْهَهُ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا ثُمَّ أَقَابَ فَقَالَ حَدَّثْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ قَائِلَةٌ مَنِ يَدْعُو بِرَجُلٍ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِي أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي قَالَ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَمَادَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلَّمْتُ قَالَ كُنْتُ أَفُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلَانًا قَارِيٌّ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ وَيُوتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَمْ أَوْسَعُ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُكَ تَحْتَاجَ إِلَى أَحَدٍ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَمَادَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ كُنْتُ أَصِلُ الرَّجْمَ وَأَتَصَدَّقُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ وَيُوتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِي مَادَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أَمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ ثُمَّ صَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَوْلَيْتُكَ الثَّلَاثَةَ أَوْلَى خَلَقَ اللَّهُ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سنن الترمذي رقم 2382 ط. شاكر وقال أبو عيسى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

وإذا صدقت النية من الناصح حصل الأجر والتأثير والقبول بإذن الله

- الخطأ من طبيعة البشر

لقوله صلى الله عليه وسلم : (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه الترمذي رقم 2499 وابن ماجه واللفظ له : السنن تحقيق . عبد الباقي رقم 4251

ووضوح هذه الحقيقة واستحضارها يضع الأمور في إطارها الصحيح فلا يفترض المرابي المثالية أو العصمة في الأشخاص ثم يحاسبهم بناء عليها أو يحكم عليهم بالفشل إذا كبر الخطأ أو تكرر. بل يعاملهم معاملة واقعية صادرة عن معرفة بطبيعة النفس البشرية المتأثرة بعوارض الجهل والغفلة والنقص والهوى والنسيان .

وهذه الحقيقة أيضا تفيد في منع فقدان التوازن نتيجة المباغته بحصول الخطأ مما يؤدي إلى ردات فعل غير حميدة . وإدراك هذه الحقيقة فيه كذلك تذكير للداعية والمرابي الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر بأنه بشر من البشر يمكن أن يقع فيما وقع فيه المخطئ فيعامله من شق الرحمة أكثر مما يعامله من شق القسوة لأن المقصود أصلا هو الاستصلاح لا المعاقبة .

ولكن كل ما سبق لا يعني أن نترك المخطئين في حالهم ونعتذر عن العصاة وأرباب الكبائر بأنهم بشر أو أنهم مراهقون أو أن عصرهم مليء بالفتن والمغريات وغير ذلك من التبريرات بل ينبغي الإنكار والمحاسبة ولكن بميزان الشرع .

- أن تكون التخطئة مبنية على الدليل الشرعي مقترنة بالبينة وليست صادرة عن جهل أو أمر مزاجي

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ : (صَلَّى جَائِرٌ فِي إِزَارٍ قَدْ عَقَدَهُ مِنْ قَبْلِ قَعَاهُ) وسبب ذلك أنهم لم يكن لهم سراويلات فكان أحدهم يعقد إزاره في قفاه ليكون مستورا إذا ركع وإذا سجد: فتح الباري ط. السلفية 1/ 467 وثيابه مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْمَشْجَبِ قَالَ لَهُ قَائِلٌ تُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ؟ فَقَالَ إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ لِإِرَائِي أَحْمَقُ مِنْكَ وَأَيُّنَا كَانَ لَهُ تَوْبَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه البخاري الفتح رقم 352 قال ابن حجر رحمه الله : المراد بقوله أحقق هنا أي جاهل .. والغرض بيان جواز الصلاة في الثوب الواحد ولو كانت الصلاة في الثوبين أفضل ، فكأنه قال : صنعته عمدا لبيان الجواز إما ليقندي بي الجاهل ابتداء أو ينكر علي فأعلمه أن ذلك جائز ، وإنما أغلظ لهم في الخطاب زجرا عن الإنكار على العلماء ، وليحثهم على البحث في الأمور الشرعية . الفتح 1/467

- كلما كان الخطأ أعظم كان الاعتناء بتصحيحه أشد

فالعناية بتصحيح الأخطاء المتعلقة بالمعتقد ينبغي أن تكون أعظم من تلك المتعلقة بالآداب مثلا وهكذا ، وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم غاية الاهتمام بتتبع وتصحيح الأخطاء المتعلقة بالشرك بجميع أنواعه لأنه أخطر ما يكون وفيما يلي أمثلة :

عن الْمُغْبِرَةِ ابْنِ شُعْبَةَ قَالَ : إِكْسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ النَّاسُ انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ رواه البخاري فتح 1061

وَعَنْ أَبِي وَقِيدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَرَجَ إِلَى حُتَيْنَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا دَاتٌ أَنْوَاطٍ يُعْلَقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا دَاتٌ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ دَاتٌ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رواه الترمذي رقم 2180 وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

وفي رواية عن أبي وقيد أيضا: أَنَّهُمْ حَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُتَيْنَ قَالَ وَكَانَ لِلْكَفَّارِ بِيَدِهِ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُعْلِقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا دَاتٌ أَنْوَاطٍ قَالَ فَمَرَرْنَا بِبَيْدَرِيَّةٍ حَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ قَالَ وَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا دَاتٌ أَنْوَاطٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُمْ وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } إِنَّهَا لَسُنَّةٌ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةَ سُنَّةٍ رواه أحمد: المسند 5/218

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ابْنِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصَبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ قَامًا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ يَبُوءُ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ رواه البخاري : فتح رقم 846

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا ؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَوَحْدَهُ رواه أحمد : المسند 1/283

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَخْلِفُ بِأَبِيهِ فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ خَالِفًا فَلْيَخْلِفْ بِاللَّهِ وَإِلَّا فَلْيَضْمُتْ رواه البخاري : فتح 6108

فائدة : روى الإمام أحمد في مسنده : حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي حَلَقَةٍ فَسَمِعَ رَجُلًا فِي حَلَقَةٍ أُخْرَى وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي قَرْمَةَ ابْنِ عُمَرَ بِالْحَصَى وَقَالَ إِنَّهَا كَانَتْ يَمِينِ عُمَرَ فَهَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا وَقَالَ إِنَّهَا شِرْكٌ . (الفتح الرباني 14 / 164).

وعن أبي شريح هانئ بن يزيد قال: وقد على النبي صلى الله عليه وسلم قوم فسمعهم يسمون رجلا عبد الحجر فقال له : ما اسمك ؟ قال : عبد الحجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا، أنت عبد الله رواه البخاري في الأدب المفرد رقم 813 وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد صحيح رقم 623

- اعتبار موقع الشخص الذي يقوم بتصحيح الخطأ

فبعض الناس يُتَقَبَّلُ منهم ما لا يُتَقَبَّلُ من غيرهم لأن لهم مكانة ليست لغيرهم أو لأن لهم سلطة على المخطئ ليست لغيرهم ومن أمثلة هذا الأب مع ابنه والمدرّس مع تلميذه والمحتسب مع من ينكر عليه ، فليس الكبير كالقرن والصغير ، ولا القريب كالغريب ، وليس صاحب السلطان كمن ليس له سلطة ، والإدراك لهذه الفروق يؤدي بالمُصلح إلى وضع الأمور في نصابها وتقدير الأمور حق قدرها فلا يؤدي إنكاره أو تصحيحه إلى منكر أكبر أو خطأ أعظم ، ومكانة المنكر وهيبته في نفس المخطئ مهمة في تقدير درجة الإنكار وضبط معيار الشدّة واللين . ومن هذا نستفيد أمرين

الأول : إن على من آتاه الله مكانة أو سلطانا أن يسخر ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الخلق وأن يدرك أن مسؤوليته عظيمة لأن الناس يتقبلون منه أكثر مما يتقبلون من غيره - غالبا - ويتمكن مما لا يتمكن منه الآخرون .

ثانيا : إن على الأمر الناهي أن لا يُسيء التقدير فيضع نفسه في موضع أعلى مما هو عليه ويتصرف بصفات شخصية لا يملكها لأن ذلك يؤدي إلى النفور والصد .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفيد مما أعطاه الله من المكانة والمهابة بين الخلق في إنكاره وتعليمه وربما أتى بشيء لو فعله غيره ما وقع الموقع المناسب وفيما يلي مثال على ذلك :

عن يَعِيشَ بْنِ طَهْفَةَ الْغِفَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ضَفَّتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ تَضَيْفَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلِ يَتَعَاهَدُ ضَيْفَهُ فَأَرَانِي مَبِطْحًا عَلَى بَطْنِي فَرَكْضَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَا تَضْطَجِعْ هَذِهِ الضَّجْعَةُ فَإِنَّهَا ضَجْعَةُ يَبْغُضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وفي رواية : فَرَكْضَهُ بِرِجْلِهِ فَأَيْقَظُهُ فَقَالَ هَذِهِ ضَجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ رواه أحمد : الفتح الرباني 244/14-245 . ورواه الترمذي رقم 2798 ط . شاکر ورواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه رقم 5040 ط . الدعاس والحديث في صحيح الجامع 2270 - 2271

وإذا كان إنكاره صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة مناسبة لحاله ومكانته فإنه ليس بمناسبة لأحد الناس ، ولا يصلح لأي شخص يريد أن يُنكر على آخر نومه على بطنه أن يركضه برجله وهو نائم فيوقظه ثم يتوقع أن يقبل منه ويشكره . وقريب من هذا ضرب المخطئ أو رمية بشيء كالحصى ونحوه وقد فعل ذلك بعض السلف وكل ذلك يعود إلى مكانة المُنكر وفيما يلي بعض القصص :

روي الدارمي رحمه الله عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِيعٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَبَيِّبِهِ الْقُرَّانِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَّاجِينَ النَّحْلَ فَقَالَ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيعٌ فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُوتًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَّاجِينَ فَصَرَبَهُ وَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ فَجَعَلَ لَهُ صَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ دَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي . سنن الدارمي ت: عبدالله هاشم يماني 1/51 رقم 146.

ويروي البخاري رحمه الله تعالى عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ كَانَ خُدَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَيَّاهُ دِهْقَانٌ بِقَدْحٍ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَرْمِ إِلَّا أَنْتِي تَهَيْتُهُ فَلِمَ يَنْتَهِي وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ وَالشَّرْبِ فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَقَالَ هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ الفتح رقم 5632

وفي رواية أحمد للقصة عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ خَرَجْتُ مَعَ خُدَيْفَةَ إِلَى بَعْضِ هَذَا السَّوَادِ فَاسْتَسْقَى فَأَيَّاهُ دِهْقَانٌ يَأْتَا مِنْ فِضَّةٍ قَالَ فَرَمَاهُ فِي وَجْهِهِ قَالَ قُلْنَا اسْكُتُوا اسْكُتُوا وَإِنَّا إِنْ سَأَلْتَاهُ لَمْ يُحَدِّثْنَا قَالَ فَسَكَّنَا قَالَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ أَتَدْرُونَ لِمَ رَمَيْتُ بِهِ فِي وَجْهِهِ قَالَ قُلْنَا لَا قَالَ إِنِّي كُنْتُ تَهَيْتُهُ قَالَ فَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَلَا فِي الْفِضَّةِ وَلَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الذَّبْيَاجَ فَإِنَّهُمَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ . المسند 5/396.

وروي البخاري أَنَّ سَبْرِينَ سَأَلَ أَنَسًا الْمَكَابِتَةَ وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ فَأَبَى فَأَنْطَلَقَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ كَاتِبُهُ فَأَبَى فَصَرَبَهُ بِالذَّرَّةِ وَتَلَّوْهُ عُمَرُ (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) فَكَاتِبُهُ . الفتح 5/184.

وروي النسائي عن أبي سعيد الخدري أنه كان يصلي فإذا باين لمروان يمر بين يديه فدرأه فلم يرجع فصرته فخرج الغلام بين يدي حتى أتى مروان فأخبره فقال مروان لأبي سعيد لم صرت ابن أخيك قال ما صرتبه إنما صرت الشيطان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان أحدكم في صلاة فأراد إنسان يمر بين يديه فیدرأه ما استطاع فإن أبي فليقاتله فإنه شيطان. المجتبى من سنن النسائي 8/61. صحيح سنن النسائي برقم 4518.

وروي أحمد رحمه الله عن أبي التميمي أن أبا سعيد الخدري كان يشتكي رجله فدخل عليه أخوه وقد جعل إحدى رجله على الأخرى وهو مضطجع فصرته بيده على رجله الوجعة فأوجعه فقال أوخعتني أولم تعلم أن رجلي وجعه قال بلى قال فما حملك على ذلك قال أولم تسمع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن هذه المسند 3/42

وروي مالك عن أبي الزبير المكي أن رجلاً خطب إلى رجل أخته فذكر أنها قد كانت أهدت (أي زنت) فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فصرته أو كاد يصرته ثم قال ما لك وللخبر موطأ مالك رقم 1553 رواية أبي مصعب الزهري . ت: بشار معروف ومحمود خليل . مؤسسة الرسالة

وروي مسلم في صحيحه عن أبي إسحاق قال كنت مع الأسود بن يزيد جالياً في المسجد الأعظم ومعبنا الشعبي فحدثت الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل لها سكتي ولا تفقة ثم أخذ الأسود كفا مني فحصبه به فقال وبلك تحدث بمنزل هذا قال عمر لا تنرك كتاب الله وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم لقول امرأة لا تدري لعلها حفظت أو تسيئت لها السكتي والتفقة قال الله عز وجل { لا تخرجن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة } صحيح مسلم رقم 1480

وروي أبو داود بإسناد فيه مقبولان : دخل رجلان من أبواب كندة وأبو مسعود الأنصاري جالس في حلقة فقالا ألا رجل يتفقد بيتنا فقال رجل من الحلقة أنا فأخذ أبو مسعود كفا من حصي فرماه به وقال مه إنه كان بكره التسرع إلى الحكم رواه أبو داود كتاب الأقضية باب في طلب القضاء والتسرع إليه

ونلاحظ أيضا أن إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على بعض خواص أصحابه كان أحيانا أشد منه على أعرابي مثلاً أو غريب وكل هذا من الحكمة وتقدير الحال في الإنكار .

- التفريق بين المخطئ الجاهل والمخطئ عن علم -

ومن القصص الواضحة في هذا ما حدث لمعاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه لمل جاء إلى المدينة من البادية ولم يكن يدري عن تحريم الكلام في الصلاة قال بيتنا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت يزحمك الله فمراني القوم بأبصارهم فقلت واثكل أمياه ما سأتكم تنظرون إلي فجعلوا يصربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتموني لكي سكت (أي أوشكت أن أردد عليهم لكي تمالك نفسي ولزمت السكوت) فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبابي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني (أي زجرني وعبس في وجهي) ولا صرتني ولا شتمني قال إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن صحيح مسلم ط. عبد الباقي رقم 537

فالجاهل يحتاج إلى تعليم وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان والغافل يحتاج إلى تذكير والمصرّ يحتاج إلى وعظ ، فلا يسوغ أن يسوّى بين العالم بالحكم والجاهل به في المعاملة والإنكار ، بل إن الشدة على الجاهل كثيرا ما تحمله على النفور ورفض الانقياد بخلاف ما لو علمه أولا بالحكمة واللين لأن الجاهل عند نفسه لا يرى أنه مخطئ فلسان حاله يقول لمن يُنكر عليه : أفلا علمتني قبل أن تهاجمني .

وقد يُجانب المخطئ الصواب وهو لا يشعر بل قد يظنّ نفسه مصيبا فُيراعى لأجل ذلك : جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن المُغِيرَةَ بْنِ سُعْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَقَامُ وَقَدْ كَانَ تَوَضَّأَ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَتَيْتُهُ بِمَاءٍ لِيَتَوَضَّأَ مِنْهُ فَأَيْتَهَرَنِي وَقَالَ وَرَأَيْكَ فَسَاءَ نَبِيٌّ وَاللَّهِ ذَلِكَ ثُمَّ صَلَّى فَشَكُوْتُ ذَلِكَ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ الْمُغِيرَةَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِ أَنْتَهَارُكَ إِيَّاهُ وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِكَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِي شَيْءٌ إِلَّا خَيْرٌ وَلَكِنْ أَتَانِي بِمَاءٍ لِأَتَوَضَّأَ وَإِنَّمَا أَكَلْتُ طَعَامًا وَلَوْ فَعَلْتُهُ فَعَلَ ذَلِكَ النَّاسُ بَعْدِي [المسند 4/253](#)

ويُلاحظ هنا أن تخطئة النبي صلى الله عليه وسلم لمثل هؤلاء الصحابة الأجلاء لم تكن لتؤثر في نفوسهم تأثيرا سلبيا فتحملهم على كرهه أو نفور بل إنها كانت تؤثر في نفوسهم تأثيرا إيجابيا فيبقى الواحد منهم بعد تخطئته من النبي صلى الله عليه وسلم وجلا مشفقا متهما نفسه يعيش في حرج عظيم لا يسرّي عنه إلا أن يتأكد من رضی رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه .

ويُلاحظ في هذه القصة كذلك أن تخطئة النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة لم تكن غضبا من شخص المغيرة ولكن شفقة على الناس وتبيينا لهم حتى لا يظنوا ما ليس بواجب واجبا فيقعوا في الحرج .

- التفريق بين الخطأ الناتج عن اجتهاد صاحبه وبين خطأ العمد والغفلة والتقصير

ولا شك أن الأول ليس بملوم بل إنه يؤجر أجرا واجدا إذا أخلص واجتهد لقوله صلى الله عليه وسلم : إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاجِدٌ رواه الترمذي 1326 ط. شاكر وقال أبو عيسى الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه

وهذا بخلاف المخطئ عن عمد وتقصير فلا يستويان فالأول يعلم ويناصح بخلاف الثاني فإنه يوعظ ويُنكر عليه .

ويجب أن يكون الاجتهاد الذي يُعذر به صاحبه اجتهادا سائغا من شخص مؤهل بخلاف من يفتي بغير علم أو لا يُراعي الأحوال ولذلك اشتد إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على المخطئين في قصة صاحب الشجة فقد روى أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه قَالَ حَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِمَّا حَجَرْنَا فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُحَصَةً فِي التَّيْمَمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُحَصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَيَّ الْمَاءِ فَأَعْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَأَيُّمَا شِفَاءً الْعِيِّ السُّؤَالُ ... سنن أبي داود كتاب الطهارة باب المجروح يتيمم وحسنه الألباني في صحيح أبي داود 325 وأشار إلى ضعف الزيادة في آخره .

وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن : الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ وَاجِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَائْتَانٌ فِي النَّارِ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَصَى بِهِ وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي

الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ قَصَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ سنن أبي داود رقم 3573
وصحه الألباني في الإرواء 2164 فلم يعتبر هذا الثالث معذورا .

ومن الأمور التي تضبط درجة إنكار الخطأ مراعاة البيئة التي حصل فيها الخطأ مثل انتشار السنة أو البدعة وكذلك مدى استشراء المنكر أو وجود من يفتي بجوازه من الجهلة أو المتساهلين ممن يراهم الناس شيئا .

- إرادة المخطئ للخير لا تمنع من الإنكار عليه -

عن عَمْرُو بْنِ يَحْيَى قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ فَإِذَا خَرَجَ مَسْبُتًا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ فَلْنَا لَا فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ أَيْفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا خَيْرًا قَالَ فَمَا هُوَ فَقَالَ إِنْ عَشِيتَ فَسَبِّرَاهُ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا جَلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى فَيَقُولُ كَبُرُوا مِائَةً فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً فَيَقُولُ هَلَلُوا مِائَةً فَيَهْلَلُونَ مِائَةً وَيَقُولُ سَبَّحُوا مِائَةً فَيَسْبِحُونَ مِائَةً قَالَ فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ قَالَ مَا قُلْتُمْ لَهُمْ سَبِّيًا أَنْتَظِرَ رَأْيِكَ وَأَنْتَظِرَ أَمْرِكَ قَالَ أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَبِّياتِهِمْ وَصَمِنَتْ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ يَوْمَ مَضَى وَمَصَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ قَالُوا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ قَالَ فَعُدُّوا سَبِّياتِكُمْ فَإِنَّا صَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكْتُمْ هَوْلًا صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ نَبَاتُهُ لَمْ تَبَلْ وَأَبْنَتْهُ لَمْ تُكْسِرْ وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ إِيَّاكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتِيحُو بَابِ صَلَاةِ قَالُوا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ قَالَ وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَفْرُءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ وَأَيُّمُ اللَّهُ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ رَأَيْتَا عَامَّةَ أَوْلِيكَ الْجَلْقِ يُطَاعُونَ يَوْمَ النَّهْرِ وَأَنْ مَعَ الْخَوَارِجِ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ السَّنَنِ رَقْمَ 210 ت: عبد الله هاشم يماني وصحه الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة تحت حديث 2005 وانظر مجمع الزوائد للهيتمي 1/181

- العدل وعدم المحاباة في التنبيه على الأخطاء -

قال الله تعالى : { وإذا قلتم فاعدلوا } وقال : { وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل }

ولم يمنع كون أسامة بن زيد حب النبي صلى الله عليه وسلم وابن حبه أن يشتد عليه في الإنكار حينما حاول أن يشفع في حد من حدود الله فقد روت عائشة رضي الله عنها أَنَّ فَرِيضًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرْوَةِ الْفَيْحِ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأْتِي بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَيَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ اسْتَعْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيِّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحْتَطَبَ فَأَتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَأَيُّمَا أَهْلِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ

سَرَقَتْ لَقَطَعَتْ يَدَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقُطِعَتْ يَدُهَا الْحَدِيثُ فِي
الصَّحِيحِينَ وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ رَقْمَ 1688

وفي رواية للنسائي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ اسْتَعَارَتِ امْرَأَةٌ عَلِيَّ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ أُنَاسٍ
يُعْرِفُونَ وَهِيَ لَا يُعْرَفُ خُلِيًّا فَبَاعَتْهُ وَأَخَذَتْ تَمَنَّهُ فَأَتَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَسَعَى أَهْلَهَا إِلَى أَبِي سَلَمَةَ بْنِ رَبِيْعٍ فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا
فَقَتَلُونَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُكَلِّمُهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَيْتَنِي فِي حَدٍّ مِنْ جُدُودِ اللَّهِ فَقَالَ أَسَامَةُ ابْتِغَفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ
قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيْبَتِيذٍ فَأَتَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ
قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَأَيُّمَا هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ فِيهِمْ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ
الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي تَفَسُّ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ
لَقُطِعَتْ يَدُهَا ثُمَّ قَطَعَ تِلْكَ الْمَرْأَةُ سَنَنَ النَّسَائِيِّ : الْمُجْتَبَى ط. دار الفكر 8/73. وصححه الألباني
في صحيح سنن النسائي برقم 4548.

وموقفه عليه الصلاة والسلام من أسامة رضي الله عنه دالٌّ على عدله وأن الشرع عنده
فوق محبة الأشخاص والإنسان قد يسامح من يريد في الخطأ على شخصه ولكن لا يملك
أن يسامح أو يجابي من يخطئ على الشرع

وبعض الناس إذا أخطأ قريبه أو صاحبه لم يكن إنكاره عليه مثل إنكاره على من لا يعرفه
وربما ظهر تحيز وتمييز غير شرعي في المعاملة بسبب ذلك ، بل ربما تغاضى عن خطأ
صاحبه وشدد في خطأ غيره

وعين الرضا عن كل عيب كليله ***** ولكن عين السُّخْطِ تُبْذِي المساويا

وهذا ينعكس على تفسير الأفعال أيضا فقد يصدر الفعل من شخص محبوب فيحمل على
محمل ويصدر مثله من شخص آخر فيحمل على محمل آخر .

وكل ما سبق مقيد بما إذا استوت الأحوال وإلا فقد يكون هناك تفاوت في الاعتبارات كما
سيأتي ذكره .

- الحذر من إصلاح خطأ يؤدي إلى خطأ أكبر -

من المعلوم أن من قواعد الشريعة تحمّل أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما فقد يسكت
الداعي عن خطأ لئلا يؤدي الأمر إلى وقوع خطأ أعظم .

لقد سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم وصبر
على أذاهم لئلا يقول الناس محمد يقتل أصحابه خصوصا مع خفاء أمرهم ، ولم يهدم
النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة لئلا يبينها على قواعد إبراهيم الخليل من أجل أن قريشا
كانوا حديثي عهد بجاهلية وخشي عليه الصلاة والسلام أن لا تحتمل ذلك عقولهم وتترك
البيان على ما فيه من النقص والباب على ارتفاعه وإغلاقه عن العامة مع أن في ذلك
نوعا من الظلم .

وقبل ذلك نهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين مع أنه طاعة وقربة إذا كان ذلك
يؤدي إلى سب الله عز وجل وهو أعظم منكر .

فقد بسكت الداعية عن منكر أو يؤجل الإنكار أو يغير الوسيلة إذا رأى في ذلك تلافياً لخطأ أو منكر أكبر ولا يُعتبر ذلك تقصيراً ولا تخاذلاً مادام صادق النية لا يخاف في الله لومة لائم وكان الذي منعه مصلحة الدين لا الخور والجبن .

ومما يُلاحظ أن من الأسباب المؤدية إلى الوقوع في خطأ أكبر عند إنكار خطأ ما ؛ هو الحماس غير المنضبط بالحكمة

- إدراك الطبيعة التي نشأ عنها الخطأ -

هناك بعض الأخطاء التي لا يمكن إزالتها بالكلية لأمر يتعلق بأصل الخلقة ولكن يمكن تقليلها والتخفيف منها لأن التقويم النهائي يؤدي إلى كارثة كما هو الشأن في المرأة ؛ قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عَوْجٌ وَإِنْ دَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسَرْتَهَا طَلَّقَهَا** رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم 1468

وفي رواية : **اسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِفْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصُّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ دَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا** البخاري عن أبي هريرة الفتح رقم 5186

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله (بالنساء خيرا) كأن فيه رمزا إلى التقويم برفق بحيث لا يُبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه .. فيؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها ، أو ترك الواجب . وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة . وفي الحديث المداراة لاستمالة النفوس وتآلف القلوب . وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن ، والصبر على عوجهن ، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن ، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال : الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها . فتح 9/954

- التفريق بين الخطأ في حق الشرع والخطأ في حق الشخص

فإذا كان الدين أعلى عندنا من ذواتنا وجب علينا أن نتصبر له ونحامي عنه ونغضب له أكثر مما نغضب لأنفسنا ونتصبر لها . وإن من ضعف الحمية الدينية أن ترى الشخص يغضب لنفسه إذا سبه أحد ولا يغضب لدين الله إذا اعتدى على جنابه أحد أو تراه يدافع باستحياء وضعف .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسامح من أخطأ عليه كثيرا وخصوصا جفاة الأعراب تأليفا لقلوبهم فقد جاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برؤ تجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فحبسه برأيه حبده شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرؤ من شدة حبده ثم قال يا محمد مزي من مال الله الذي عندك قالت إلهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صحك ثم أمر له بعتاء الفتح 5809

وأما إذا كان الخطأ على الدين فإنه صلى الله عليه وسلم كان يغضب لله تعالى وستأتي أمثلة .

وهناك أمور أخرى تحتاج إلى مراعاة في باب التعامل مع الأخطاء مثل :

- التفريق بين الخطأ الكبير والخطأ الصغير وقد فرقت الشريعة بين الكبائر والصغائر

- التفريق بين المخطئ صاحب السوابق في عمل الخير والماضي الحسن - الذي يتلاشى خطؤه أو يكاد في بحر حسناته - وبين العاصي المسرف على نفسه وكذلك فإن صاحب السوابق الحسنة يُحتمل منه ما لا يُحتمل من غيره ومما وقع للصديق في ذلك القصة التالية: عن أسماء بنت أبي بكر قالت جرتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى إذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وترلنا فجلست عائشة رضي الله عنها إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست إلى جنب أبي وكانت زمالة (دابة السفر) أبي بكر وزمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجدة مع غلام لأبي بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه فطلع ولبس معه بغيره قال أين بغيرك قال أضلته البارجة قال فقال أبو بكر بغير واحد نضله قال فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع قال ابن أبي رزمة فما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع ويتبسم رواه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب المحرم يؤدب غلامه وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم 1602

- التفريق بين من وقع منه الخطأ مرارا وبين من وقع فيه لأول مرة

- التفريق بين من يتوالى منه حدوث الخطأ وبين من يقع فيه على فترات متباعدة

- التفريق بين المجاهر بالخطأ والمستتر به .

- مراعاة من دينه رقيق ويحتاج إلى تأليف قلب فلا يُغلظ عليه .

- اعتبار حال المخطئ من جهة المكانة والسلطان

وهذه الاعتبارات التي مضى ذكرها لا تتعارض مع العدل المشار إليه آنفا

- الإنكار على المخطئ الصغير بما يتناسب مع سنّه

روى البخاري رحمه الله تعالى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْحَسِينَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَارِسِيَّةِ كَيْفَ أَمَا تَعْرِفُ أَنَا لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ . فتح 3072

وروى الطبراني رحمه الله عن زينب بنت أبي سلمة أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل قالت : فأخذ حفنة من ماء فضرب بها وجهي وقال وراءك أي لكاع . المعجم الكبير 24/281 وقال الهيثمي إسناده حسن : المجمع 1/269

وبهذا يتبين أن صغر الصغير لا يمنع من تصحيح خطئه بل ذلك من إحسان تربيته وهذا مما ينطبع في ذاكرته ويكون ذخيرة لمستقبله فالحديث الأول فيه تعليم الطفل الورع والثاني فيه تعليمه الأدب في الاستئذان وعدم الاطلاع على العورات .

ومن الشواهد الرائعة في هذا أيضا قصة الغلام الصغير عمر بن أبي سلمة فقد روى البخاري عنه قال : كُنْتُ عَلَامًا فِي حَجْرٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَأَيْتُ يَدِي تَطْيِشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ الفتح رقم 5376

نلاحظ في هذه القصة أن توجيهات النبي صلى اله عليه وسلم لذلك الغلام الذي أخطأ في تجوال يده في الطعام كانت قصيرة ومختصرة وواضحة يسهل حفظها وفهمها ولقد أثرت في نفس الغلام طيلة عمره فقال فما زالت تلك طعمتي بعد .

- الحذر عند الإنكار على النساء الأجنيات : حتى لا يفهم الإنكار فهما خاطئا، وحتى تؤمن الفتنة فلا يُتساهل في كلام الشاب مع الفتاة الشابة بحجة بيان الخطأ أو الإنكار والتعليم ، وكم جرّ هذا من مصائب ، وينبغي أن يتاح في هذا المجال دور كبير لأهل الحسبة ومن يقوم معهم بالإنكار من كبار السن . وعلى الأمر الناهي أن يعمل بما غلب على ظنه في جدوى الإنكار فإن غلب على ظنه النفع تكلم وإلا أحجم عن الكلام مع سفيهات ربما رمينه بهتان وهنّ مصرّات على الباطل . ويبقى حال المجتمع ومكانة الأمر الناهي لها دور أساسي في نجاح عملية الإنكار أو التبليغ وإقامة الحجة وفيما يلي قصّة :

عَنْ مَوْلَى أَبِي رُحْمٍ وَاسْمُهُ عُيَيْدٌ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَقِيَ امْرَأَةً مُتَطَيِّبَةً تُرِيدُ الْمَسْجِدَ فَقَالَ يَا أُمَّةَ الْجَبَّارِ أَيَّنَ تُرِيدِينَ قَالَتْ الْمَسْجِدَ قَالَ وَلَهُ تَطْيِيبٌ قَالَتْ تَعْمُ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطْيِيبَتْ ثُمَّ حَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ رواه ابن ماجه رقم 4002 وهو في صحيح ابن ماجه 2/367

وفي صحيح ابن خزيمة : مرّت بأبي هُرَيْرَةَ امْرَأَةً وريحتها تعصف فقال لها : إلى أين تُرِيدِينَ يَا أُمَّةَ الْجَبَّارِ ؟ قَالَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ . قَالَ تَطْيِيبٌ ؟ قَالَتْ : تَعْمُ . قَالَ فَارْجِعِي فَاعْتَسِلِي ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ امْرَأَةٍ

صلاة حَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرِيحُهَا تَعْصِفُ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَعْتَسِلَ صَاحِبُ ابْنِ خَزِيمَةَ رَقْم 1682 وَقَالَ الْأَبَانِيُّ فِي تَعْلِيْقِهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ وَهُوَ فِي الْمُسْنَدِ 2/246 ، وَصَحَّ أَحْمَدُ شَاكِرُ الْحَدِيثِ بِطَرَفِهِ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ رَقْم 7350

- **عدم الانشغال بتصحيح آثار الخطأ وترك معالجة أصل الخطأ وسببه .**

- **عدم تضخيم الخطأ والمبالغة في تصويره**

- **ترك التكلف والاعتساف في إثبات الخطأ وتجنب الإصرار على انتزاع الاعتراف من المخطئ بخطئه .**

- **إعطاء الوقت الكافي لتصحيح الخطأ خصوصا لمن درج عليه واعتاده زمانا طويلا من عمره هذا مع المتابعة والاستمرار في التنبيه والتصحيح .**

- **تجنب إشعار المخطئ بأنه خصم ومراعاة أن كسب الأشخاص أهم من كسب المواقف**

وبعد هذه المقدمة آن الأوان للشروع في عرض بعض ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلكه من الوسائل والأساليب في التعامل مع أخطاء الناس كما جاء ذلك في السنة الصحيحة التي نقلها أهل العلم .

الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس

(1) المسارعة إلى تصحيح الخطأ وعدم إهماله

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبادر إلى ذلك لاسيما وأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة وأنه مكلف بأن يبين للناس الحق ويدلهم على الخير ويحذرهم من الشر ومسارعتة صلى الله عليه وسلم إلى تصحيح أخطاء الناس واضحة في مناسبات كثيرة كقصة المسيء صلاته وقصة المخزومية وابن اللبية وقصة أسامة والثلاثة الذين أرادوا التشديد والتبتل وغيرها وستأتي هذه القصص في ثنايا هذا البحث إن شاء الله .

وعدم المبادرة إلى تصحيح الأخطاء قد يفوت المصلحة ويضيع الفائدة وربما تذهب الفرصة وتضيع المناسبة ويبرد الحدث ويضعف التأثير .

(2) معالجة الخطأ ببيان الحكم

عَنْ جَرِّهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ كَاشِفٌ عَنْ فَخْدِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَطَّ فَخْدَكَ فَإِنَّهَا مِنَ الْعَوْرَةِ سَنَّ التِّرْمِذِيُّ رَقْم 2796 وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

(3) ردّ المخطئين إلى الشرع وتذكيرهم بالمبدأ الذي خالفوه

في غمرة الخطأ وملازمات الحادث يغيب المبدأ الشرعي عن الأذهان ويضيع في المعمعة فيكون في إعادة إعلان المبدأ والجهر بالقاعدة الشرعية ردّ لمن أخطأ وإيقاظ من الغفلة التي حصلت وإذا تأملنا الحادثة الخطيرة التي وقعت بين المهاجرين والأنصار

بسبب نار الفتنة التي أوقدها المنافقون لوجدنا مثالا نبويا على ذلك فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال : عَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ تَابَ مَعَهُ تَأْسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِيُّ يَا لِمُهَاجِرِينَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَمْ قَالِ مَا سَأَلْتَهُمْ فَأَخْبَرَ بِكُسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا حَبِيبَةٌ . الفتح 3518 وفي رواية مسلم : وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ تَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ صحيح مسلم رقم 2584

(4) تصحيح التصور الذي حصل الخطأ نتيجة لاختلاله

ففي صحيح البخاري عن حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطًا إِلَى يُيُوبِ أَرْوَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُجِيبُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا (أي رأى كل منهم أنها قليلة) فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ (أي أنهم ظنوا بأن من لم يعلم مغفرة ذنوبه يحتاج إلى المبالغة في العبادة أكثر من النبي صلى الله عليه وسلم عليه ويسلم رجاء أن تحصل له المغفرة) قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَتَا فَإِنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَتَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَتَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَرَوِّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَنْفَاكُمْ لَهُ لِكِتَابِي أَصُومٌ وَأَفْطِرٌ وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ وَأَتَرَوِّجُ

ورواه مسلم : عَنْ أَنَسِ بْنِ تَعْرَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَرْوَاحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَتَرَوِّجُ النِّسَاءَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَتَامُ عَلَى فِرَاشِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ فَقَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لِكِتَابِي أَصْلِي وَأَتَامُ وَأَصُومٌ وَأَفْطِرٌ وَأَتَرَوِّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي صحيح مسلم رقم 1041

ونلاحظ هنا ما يلي :

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم فوعظهم في أنفسهم فيما بينه وبينهم ولما أراد أن يعلم الناس عموماً أتهمهم ولم يفضحهم وإنما قال ما بال أقوام .. وهذا رفقا بهم وسترا عليهم مع تحصيل المصلحة في الإخبار العام .
- في الحديث تتبّع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم والسير على منوالهم وأن التنقيب عن ذلك من كمال العقل والسعي في تربية النفس .
- وفيه أن الأمور المفيدة والمشروعة إذا تعدّرت معرفتها من جهة الرجال جاز استكشافها من جهة النساء
- وأنه لا بأس بحديث المرء عن عمله إذا أمن الرياء وكان في الإخبار منفعة للآخرين .
- وفيه أنّ الأخذ بالتشديد في العبادة يؤدي إلى إملال النفس القاطع لها عن أصل العبادة وخير الأمور أوسطها . أنظر الفتح 9/104

- أن الأخطاء عموماً تنشأ من خلل في التصورات فإذا صلح التصور قلت الأخطاء كثيراً وواضح من الحديث أن السبب الذي دفع أولئك الصحابة إلى تلك الصور من التبتل والرهابية والتشديد هو ظنهم أن لا بد من الزيادة على عبادة النبي صلى الله عليه وسلم رجاء النجاة حيث أنه أخبر من ربه بالمغفرة بخلافهم فصحح لهم النبي صلى الله عليه وسلم تصورهم المجانب للصواب وأخبرهم بأنه مع كونه مغفورا له فإنه أخشى الناس وأتقاهم لله وأمرهم بأن يلزموا سنته وطريقته في العبادة .

وقريب من هذا ما حصل لأحد الصحابة وهو كهمس الهلالي رضي الله عنه الذي روى قصته فقال : " أسلمت فأنتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بإسلامي فمكثت حولا وقد ضمرت ونحل جسمي ثم أتيت فخفض فيّ البصر ثم رفعه قلت : أما تعرفني ؟ قال : ومن أنت ؟ قلت : أنا كهمس الهلالي ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قلت : ما أفطرت بعدك نهارا ولا نمت ليلا ، فقال : ومن أمرك أن تعذب نفسك ؟! . صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما . قلت زدني ، قال : صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين ، قلت زدني أجد قوة ، قال : صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام " . مسند الطيالسي رواه الطبراني في الكبير 19/194 رقم 435 وهو في السلسلة الصحيحة برقم 2623

ومن الخلل في التصورات ما يكون متعلقا بموازين تقويم الأشخاص والنظرة إليهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على تصحيح ذلك وبيانه ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال مرَّ رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجلٍ عنده جالس ما رأيك في هذا فقال رجلٌ من أشرف الناس هذا والله خيرٌ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مرَّ رجلٌ آخرٌ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجلٌ من فقراء المسلمين هذا خيرٌ إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يشفع لِقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا الفتح 6447

وفي رواية ابن ماجه : مرَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هذا الرجل قالوا رأيك في هذا تقول هذا من أشرف الناس هذا خيرٌ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن لا يشفع لِقوله فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ومرَّ رجلٌ آخرٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هذا قالوا تقول والله يا رسول الله هذا من فقراء المسلمين هذا خيرٌ إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يشفع لِقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا سنن ابن ماجه ط. عبد الباقي رقم 4120

(5) معالجة الخطأ بالموعظة وتكرار التخويف

عن جندب بن عبد الله الجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين وإنهم اتقوا فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجلٍ من المسلمين قصد له فقتله وإن رجلاً من المسلمين قصد عقلة قال وكذا تحدثت أبيه أسامة بن زيد فلما رفع عليه السيف قال لا إله إلا الله فقتله فجاء البشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع فدعا فسأله فقال لهم قتلته قال يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمى له تفرأ وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال لا إله إلا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلته قال نعم قال فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة قال يا رسول الله استعجز لي قال وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة قال فجعل لا يزيد

وفي رواية أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فَصَبَحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْبَةَ فَأَذْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَطَعَنَتْهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ قَالَ فُلَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ قَالَ أَقَالَ سَقَفْتِ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَيَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ رواه مسلم رقم 69

ومما يدخل في مواجهة الخطأ بالموعظة : التذكير بقدره الله وهذا مثال :

روى مسلم رحمه الله تعالى عن أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ قَالَ : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسُّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتِ مِنَ الْعَضْبِ قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ قَالَ فَالْقَيْتُ السُّوْطَ مِنْ يَدِي وَفِي رِوَايَةٍ فَسَقَطَ مِنْ يَدِي السُّوْطُ مِنْ هَيْبَتِهِ فَقَالَ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَفْذَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ قَالَ فَقُلْتُ لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا وَفِي رِوَايَةٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ فَقَالَ أَيَا لَوْيَمَ تَفْعَلُ لِلْفَجْنِكَ النَّارُ أَوْ لِمَسْنِكَ النَّارُ وَفِي رِوَايَةٍ لِمَسْلَمٍ أَيْضًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ لِلَّهِ أَفْذَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ قَالَ فَأَعْتَقَهُ صحيح مسلم رقم 1659

وعن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ كُنْتُ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا لِي فَسَمِعْتُ قَائِلًا مِنْ خَلْفِي يَقُولُ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ فَالْتَفْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِلَّهِ أَفْذَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ فَمَا صَرَبْتُ مَمْلُوكًا لِي بَعْدَ ذَلِكَ رواه الترمذي رقم 1948 قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

(6) إظهار الرحمة بالمخطئ

وهذا يكون في حال من يستحق ممن عَظُمَ ندمه واشتد أسفه وظهرت توبته مثلما يقع أحيانا من بعض المستفتين كما في مثل هذه القصة :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ظَاهَرَ مِنْ لِمْرَأَتِهِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَاهَرْتُ مِنْ رَوْحَتِي فَوَقَعْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ أَكْفَرَ فَقَالَ وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ قَالَ رَأَيْتُ خَلْعَهَا فِي صَوِّ الْقَمَرِ قَالَ فَلَا تَقْرَبْهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صحيح سنن الترمذي رقم 1199

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ قَالَ مَا لَكَ قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعِفُّهَا قَالَ لَا قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قَالَ لَا فَقَالَ فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا قَالَ لَا قَالَ فَصَمَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ وَالْعَرَقُ الْمَكْتَلُ قَالَ ابْنُ السَّائِلِ فَقَالَ أَنَا قَالَ خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ أَعْلَى أَفْقَرٍ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا يُرِيدُ الْجَرَّتَيْنِ أَهْلُ بَيْتِ أَفْقَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَصَحَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَتْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ رواه البخاري فتح

إن هذا المستفتي المخطئ لم يكن هازلا ولا مستخفا بالأمر بل إن تأنيبه نفسه وشعوره بخطئه واضح من قوله : هلكت، ولذلك استحق الرحمة ورواية أحمد رحمه الله فيها مزيد من التوضيح لحال الرجل عند مجيئه مستفتيا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أُعْرَابِيًّا جَاءَ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وَيَبْتِفُ شَعْرَهُ وَيَقُولُ مَا أَرَانِي إِلَّا قَدْ هَلَكْتُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَهْلَكَ قَالَ أَصَبْتُ أَهْلِي فِي رَمَضَانَ قَالَ أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً قَالَ لَا قَالَ أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قَالَ لَا قَالَ أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا قَالَ لَا وَذَكَرَ الْحَاجَّةَ قَالَ فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزَيْبِيلَ وَهُوَ الْمَكْتَلُ فِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا أَحْسَبُهُ تَمْرًا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْنَ الرَّجُلُ قَالَ أَطْعَمَ هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَحَدٌ أَحْوَجُ مِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أُنْيَابُهُ قَالَ أَطْعَمَ أَهْلَكَ الْمَسْنَدُ 2/516 الفتح الرباني 89 / 10.

(7) عدم التسرع في التخطئة

وقد حدث لعمر رضي الله عنه قصة رواها بنفسه فقال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ جَرَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُفْرَنْيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكِدْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى يَسْلِمَ قَلْبُهُ بِرَدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَفْرَأكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ قَالَ أَفْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَفْرَأْنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ أَفُوْدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ يُفْرَنْيْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُ أَفْرَأَ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ يَمْ قَالَ أَفْرَأَ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَفْرَأْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَفْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ الْفَتْحُ 4992

ومن الفوائد التربوية في هذه القصة ما يلي :

-أمر كل واحد منهما أن يقرأ أمام الآخر مع تصويبه أبلغ في تقرير صوابهما وعدم خطأ أي منهما .

- أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بإطلاق هشام بقوله : (أرسله يا عمر) كما في رواية الترمذي للقصة صحيح الترمذي 3/16 فيه تهئية الخصمين للاستماع وهما في حال الهدوء وفيه إشارة إلى استعجال عمر رضي الله عنه .

- على طالب العلم أن لا يستعجل بتخطئة من حكى قولا يخالف ما يعرفه إلا بعد التثبت فربما يكون ذلك القول قولا معتبرا من أقوال أهل العلم .

ومما يتعلق بهذا الموضوع أيضا : عدم التسرع في العقوبة وفي القصة التالية شاهد :

روى النسائي رحمه الله عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُرْحَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَدِمْتُ مَعَ عُمُومَتِي الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حَيْطَانِهَا فَقَرَكْتُ مِنْ سُبُلِهِ فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَائِي وَصَرَّيْتِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَعْدِي عَلَيْهِ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ الرَّجُلَ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ هَذَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ حَائِطِي فَأَخَذَ مِنْ سُبُلِهِ فَقَرَكُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَلِمْتُهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطَعَمْتُهُ إِذْ كَانَ

جَائِعًا ارْدُدْ عَلَيْهِ كِسَاءَهُ وَأَمَرَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَسْقٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ
النسائي : المجتبى : كتاب آداب القضاة باب الاستعداد وهو في صحيح سنن النسائي رقم
4999

يُستفاد من هذه القصة أنّ معرفة ظروف المخطئ أو المتعدي يوجّه إلى الطريقة
السليمة في التعامل معه .

وكذلك يُلاحظ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعاقب صاحب البستان لأنه صاحب حقّ
وإنما خطأه في أسلوبه ونبهه بأنّ تصرّفه مع من يجهل لم يكن بالتصرّف السليم في
مثل ذلك الموقف ثمّ أرشده إلى التصرّف الصحيح وأمره برّد ما أخذه من ثياب الجائع .

(8) الهدوء في التعامل مع المخطئ

وخصوصا عندما يؤدي القيام عليه والاشتداد في نهيه إلى توسيع نطاق المفسدة ويمكن
أن نتبين ذلك من خلال مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم لخطأ الأعرابي الذي بالّ في
المسجد كما جاء عن أنيس بن مالك قال : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْ مَهْ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ
فَتَرَكَوهُ حَتَّى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ
لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ
مِنْ مَاءٍ فَسَنَّهُ عَلَيْهِ صحيح مسلم رقم 285

لقد كانت القاعدة التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة الخطأ : التيسير
وعدم التعسير ، فقد جاء في رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ أَعْرَابِيًّا
بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
دَعُوهُ وَأَهْرِيْقُوا عَلَيَّ بَوْلِهِ دُتُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا
مُعَسِّرِينَ فتح 6128

لقد تحمّس الصحابة رضوان الله عليهم لإنكار المنكر حرصا على طهارة مسجدهم
وروايات الحديث تدلّ على ذلك ومنها : -

" فصاح به الناس " - " فثار إليه الناس " - " فزجره الناس " - فأسرع إليه الناس " وفي
رواية " فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه مه " جامع الأصول 7/83-87

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم نظر في عواقب الأمور وأن الأمر يدور بين احتمالين
إما أن يُمنع الرجل وإما أن يُترك . وأنه لو مُنع فإما أن ينقطع البول فعلا فيحصل على
الرجل ضرر من احتباس بوله وإما أن لا ينقطع ويتحرك خوفا منهم فيزداد انتشار
النجاسة في المسجد أو على جسد الرجل وثيابه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم
بثاقب نظره أن ترك الرجل يبول هو أدنى المفسدتين وأهون الشرين خصوصا وأن
الرجل قد شرع في المفسدة والنجاسة يمكن تداركها بالتطهير ولذلك قال لأصحابه :
دعوه لا تُزرموه أي لا تحبسوه . فأمرهم بالكفّ لأجل المصلحة الراجحة وهو دفع أعظم
المفسدتين باحتمال أيسرهما وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما

وقد جاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم سأل الرجل عن سبب فعله ، فقد روى
الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم

أعرابي فبايعه في المسجد ثم انصرف فقام ففجج ثم بال فهم الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقطعوا على الرجل بوله ، ثم قال : ألسنت بمسلم ؟ قال : بلى ، قال ما حملك على أن بُلْتَ في مسجدنا ؟ قال : والذي بعثك بالحق ما ظننته إلا صعيذا من الصعدات فبليت فيه . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فصب على بوله . رواه الطبراني في الكبير رقم 11552 ج 11 ص 220 وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح 2/10

إن هذا الأسلوب الحكيم في المعالجة قد أحدث أثرا بالغا في نفس ذلك الأعرابي يتضح من عبارته كما جاء في رواية ابن ماجه : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ دَخَلَ أَعْرَابِيَّ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ وَلَا تَغْفِرْ لِأَحَدٍ مَعَنَا فَصَحَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَقَدْ اخْتَضَرْتَ وَأَسْعَأْتُ ثُمَّ وُلَى حَتَّى إِذَا كَانَ فِي تَاجِيَةِ الْمَسْجِدِ فَسَجَّ (فَرَجَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ) يَبُولُ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ قَفِيَ فَقَامَ إِلَيَّ يَا بِي وَأُمِّي فَلَمْ يُؤْتَبْ وَلَمْ يَسُبَّ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يُبَالُ فِيهِ وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِلصَّلَاةِ ثُمَّ أَمَرَ بِسَجَلٍ مِنْ مَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى بَوْلِهِ سَنَنْ بِنِ مَاجَةَ ط. عبد الباقي 529 وهو في صحيح بن ماجه 428

وقد ذكر بن حجر رحمه الله تعالى فوائد في شرح حديث الأعرابي منها :

- * - الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا ولا سيما إن كان ممن يُحتاج إلى استئلافه .
- * - وفيه رأفة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه .
- * - وفيه أن الاحتراز من النجاسة كان مقorra في نفوس الصحابة ولهذا بادروا إلى الإنكار بحضرة صلى الله عليه وسلم قبل استئذانه ولما تقرر عندهم أيضا من طلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- * - وفيه المبادرة إلى إزالة المفاسد عند زوال المانع لأمرهم عند فراغه بصب الماء .
الفتح 325-1/324

(9) بيان خطورة الخطأ

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة -دخل حديث بعضهم في بعض -أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء . يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء . فقال عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاأ ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ارتحل وركب ناقته فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق ، قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة لتنكب رجليه وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : { قل أبالله وءآياته ورسوله كنتم تستهزءون } التوبة/65 وما يلتفت إليه وما يزيد عليه .

ورواه ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ! فقال رجل في المجلس : كذبت ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيتُه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ! ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم } . تفسير ابن جرير الطبري 14/333 ط. دار الكتب العلمية . الأولى 1412 ، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان ، وأخرجه الطبري من طريقه وله شاهد بسند حسن عند ابن حاتم من حديث كعب بن مالك . (الصحيح المسند من أسباب النزول ص 71) .

(10) بيان مضرة الخطأ

عن أبي تغلبَةَ الحُسَيْنِي قَالَ : كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأُودِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ تَفَرَّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ وَالْأُودِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا أَنْصَمَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ لَوْ بَسِطَ عَلَيْهِمْ تَوْبٌ لَعَمَّهُمْ رواه أبو داود رحمه الله تعالى في سننه 2286 وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 2288. وفي رواية : حَتَّى إِتَكَ لَتَقُولُ لَوْ بَسَطْتُ عَلَيْهِمْ كِسَاءً لَعَمَّهُمْ أحمد : الفتح الرباني 14/44

ويلاحظ رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وفيه حرص القائد على مصلحة جنوده .

وأن تفرَّق الجيش إذا نزل فيه تخوف الشيطان للمسلمين وإغراء للعدو بهم انظر عون المعبود 7/292 والتفرق يمنع بعض الجيش من معونة بعض انظر دليل الفالحين 6/130

ويلاحظ امتثال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لتوجيهه فيما استقبلوا من أمرهم .

ومن الأمثلة أيضا على بيان مضرة الخطأ وخطورته حديث التُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنُسُوءٍ صُفُوقَكُمْ أَوْ لِيُخَالِقَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ رواه البخاري في صحيحه فتح رقم 717

وفي صحيح مسلم عَنْ يَسْمَاقِ بْنِ حَزْبٍ قَالَ سَمِعْتُ التُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَوِّي صُفُوقَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ ثُمَّ حَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ عِبَادَ اللَّهِ لِنُسُوءٍ صُفُوقَكُمْ أَوْ لِيُخَالِقَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ صحيح مسلم رقم 436

وروى النسائي عن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَاضُوا صُفُوقَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وَجَادُوا بِالْأَعْتَاقِ قَوْلَ الَّذِي تَفْسُدُ مَحَمَّدٌ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيَاطِينَ تَدْخُلُ مِنْ حَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَدَفُ (أي الغنم السود الصغار) المجتبى 2/92 صححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم 785.

فتبين مفاسد الخطأ وما يترتب عليه من العواقب أمر مهم في الإقناع للمخطئ ، وقد تكون عاقبة الخطأ على المخطئ نفسه وقد تتعدى إلى آخرين فمن الأول ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى في سننه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ وَقَالَ مُسْلِمٌ إِنَّ رَجُلًا تَارَعَنَهُ الرِّيحُ رَدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَعَنَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ أبو داود رقم 4908 وهو في صحيح أبي داود رقم 4102

ومثال الثاني ما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عبيد الرحمن ابن أبي بكره عن أبيه قال أتى رجل علي رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم (وفي رواية لمسلم : فقال رجل يا رسول الله ما من رجل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه في كذا وكذا صحيح مسلم رقم 3000) فقال وبلك قطع عناق صاحبك قطع عناق صاحبك ولا أركي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه 2662 كتاب الشهادات وفي رواية البخاري في الأدب المفرد عن محجن الأسلمي رضي الله عنه في قصة له قال : حتى إذا كنا في المسجد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يصلي ويسجد ويركع فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ فأخذت أطريه فقلت : يا رسول الله هذا فلان وهذا وهذا [وفي رواية في الأدب المفرد أيضاً هذا فلان وهو من أحسن أهل المدينة صلاة] فقال : أمسك ، لا تسمعه فتهلكه . صحيح الأدب المفرد 137 وقال الألباني : حسن

وفي رواية للبخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يئني على رجل ويطريه في مده فقال أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل فتح 2663

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هنا لهذا المبالغ في المدح المخطئ فيه عاقبة خطئه وذلك أن الزيادة في الإطراء تدخل في قلب الممدوح الغرور فيتبه بنفسه كبراً أو إعجاباً وربما يفتر عن العمل متواكلاً على الشهرة الآتية من المدح أو يقع في الرياء لما يحسنه من لذة المدح فيكون في ذلك هلاكه وهو ما عبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله : " أهلكتم " أو " قطعتم عنق الرجل " أو " ظهر الرجل " .

ثم إن المادح قد يجازف في المدح ويقول ما لا يتحققه ويجزم بما لا يستطيع الإطلاع عليه وقد يكذب وقد يرأي الممدوح بمدحه فتكون الطامة لاسيما إن كان الممدوح ظالماً أو فاسقاً انظر الفتح 10/478

والمدح ليس منها عنه بإطلاق وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم أشخاصاً وهم حضور وقد جاء في عنوان الباب في صحيح مسلم إيضاح مهم : باب التهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنه على الممدوح * كتاب الزهد والرقائق صحيح مسلم

والذي يعد نفسه مقصراً لا يضره المدح وإذا مدح لم يعتز لأنه يعرف حقيقة نفسه قال بعض السلف : إذا مدح الرجل في وجهه فليقل : اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون . فتح 10 / 478 .

(11) تعليم المخطئ عملياً

في كثير من الأحيان يكون التعليم العملي أقوى وأشد أثراً من التعليم النظري وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى جبير بن نفير عن أبيه أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر له بوضوء فقال : توضأ يا أبا جبير ، فبدأ أبو جبير بفيه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبدأ بفيك يا أبا جبير فإن الكافر يبدأ بفيه ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء ، فغسل كفيه حتى أنقاهما ثم تغمض واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً وغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً واليسرى ثلاثاً ومسح رأسه وغسل رجليه . رواه البيهقي في السنن 1/46 وهو في السلسلة الصحيحة رقم 2820

والملاحظ هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عمد إلى تنفير ذلك الصحابي من فعله المجانب للصواب عندما أخبره أن الكافر يبدأ فيه ولعل المعنى أن الكافر لا يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء أفادنيه العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز عندما سألته عن شرح الحديث وهذا من عدم المحافظة على النظافة والله أعلم .

(12) تقديم البديل الصحيح

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ (وفي رواية النسائي السلام على جبريل السلام على ميكائيل المجتبي : كتاب التطبيق : باب كيف التشهد الأول وهو في صحيح سنن النسائي رقم 1119) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو الْبَخَارِيُّ فَتَح 835

ومن هذا الباب أيضا ما روى أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُحَامَةً فِي الْقِبْلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ وَقَامَ فَحَكَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُتَاجَى رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَلَا يَبْرُقَنَّ أَحَدُكُمْ قَبْلَ قِبْلَتِهِ وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ثُمَّ أَحَدَ طَرَفَ رِجْلَيْهِ فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فَتَح 405

وفي رواية : لَا يَنْفَلَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ رِجْلَيْهِ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ الْفَتْح 412

ومثال آخر : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ قَالَ جَاءَ بِلَالٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمْرٍ بَرْنِيٍّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَيْنَ هَذَا قَالَ بِلَالٌ كَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيٌّ فَبِعْتُهُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ لِنُطْعِمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ أَوْهٌ أَوْهٌ عَيْنُ الرَّبَا عَيْنُ الرَّبَا لَا تَفْعَلْ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ فَبِعِ التَّمْرَ بِبَيْعٍ آخَرَ ثُمَّ اشْتَرِهِ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فَتَح 2312 وفي رواية : أَنَّ عَلَامًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَاهُ ذَلِكَ يَوْمَ بَتْمَرِ رِيَّانٍ وَكَانَ تَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْلًا فِيهِ يُسُّنُّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي لَكِ هَذَا التَّمْرُ فَقَالَ هَذَا صَاعٌ اشْتَرَيْتَاهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ تَمْرِيَاً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ وَلَكِنْ يِعْ تَمْرَكَ وَاشْتَرِ مِنْ أَيِّ تَمْرٍ شِئْتَ مَسْنَدُ أَحْمَدَ 3/67 .

والذي نجده في واقع بعض الدعاة الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر قصورا في دعوتهم عند إنكار بعض أخطاء الناس ، وذلك بالاكْتفاء بالتخطئة وإعلان الحرمة دون تقديم البديل أو بيان ما هو الواجب فعله إذا حصل الخطأ ، ومعلوم من طريقة الشريعة أنها تقدّم البدائل عوضا عن أي منفعة محرمة فلما حرّمت الزنا شرعت النكاح ولما حرّمت الربا أباحت البيع ولما حرّمت الخنزير والميتة وكلّ ذي ناب ومخلب أباحت الذبائح من بهيمة الأنعام وغيرها وهكذا . ثم لو وقع الشخص في أمر محرّم فقد أوجدت له الشريعة المخرج بالتوبة والكفارة كما هو مبين في نصوص الكفارات . فينبغي على الدعاة أن يحذوا حذو الشريعة في تقديم البدائل وإيجاد المخارج الشرعية . من الأمثلة لتقديم البديل ذكر الحديث الصحيح الذي يُغني عن الحديث الضعيف أو الموضوع .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مسألة تقديم البديل هي بحسب الإمكان والقدرة فقد يكون الأمر أحيانا خطأ يجب الامتناع عنه ولا يوجد في الواقع بديل مناسب إما لفساد الحال وبعد الناس عن شريعة الله أو أن الأمر الناهي لا يستحضر شيئاً أو ليس لديه إمام بالبدايل الموجودة في الواقع فهو سينكر ويُغيّر الخطأ ولو لم يوجد لديه بديل يقوله وبوجه إليه وهذا يقع كثيراً في بعض التعاملات المالية وأنظمة الاستثمار التي نشأت في مجتمعات الكفار وثقلت بما هي عليه من المخالفات الشرعية إلى مجتمعات المسلمين ، وفي المسلمين من القصور والضعف ما يحول دون إيجاد البديل الشرعي وتعميمه . ولكن يبقى الحال أن ذلك قصور ونقص وأن المنهج الإلهي فيه البدائل والمخارج التي ترفع الحرج والعنت عن المسلمين علمها من علمها وجهلها من جهلها .

(13) الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الخطأ

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُتَيْفٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْبِ الْخَرَّارِ مِنَ الْجُحْفَةِ اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُتَيْفٍ وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَحُوْبَيْ عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مَحَبَّاءَ (المحباة: هي الفتلة في خدرها وهو كناية عن شدة بياضه) فَلَبِطَ سَهْلٌ (أي: ضرع وسقط على الأرض) فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَمَا يُفِيقُ قَالَ هَلُمَّ تَتَهَمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا نَظَرْنَا إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِرًا فَتَغَيَّبَ عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَحَاهُ هَلَا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَكَتٌ ثُمَّ قَالَ لَهُ اغْتَسِلْ لَهُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ وَبَدْيَهُ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِرَارِهِ فِي قَدَحٍ ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهِ يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ يُكْفِي الْقَدَحَ وَرَاءَهُ فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ الْمُسْنَدُ 3/486 وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ : رجال أحمد رجال الصحيح ، المجمع 5/107.

وفي رواية مالك رحمه الله عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباؤه يقولون اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار فترع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد قال فقال له عامر بن ربيعة ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء قال فوعك سهل مكاته واشتد وعكه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك وإنه غير راح معك يا رسول الله فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فاحبسه سهل بالذي كان من أمر عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علام يقتل أحداً إلا جاءه إلا بركت إن العين حق توصاً له فتوصاً له عامر فراح سهل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس به بأس الموطأ رقم الحديث 1972.

وقد تضمنت هذه القصة :

- تغيظ المرابي على من تسبب في إيذاء أخيه المسلم
- بيان مضرة الخطأ وأنه ربما يؤدي إلى القتل
- الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الضرر وإيذاء المسلم

(14) عدم مواجهة بعض المخطئين بالخطأ والاكتفاء بالبيان العام

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ فَاسْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَيْتَنَّهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لِنُحْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فَتَحَ حَدِيثٌ رَقْمٌ 750

ولما أرادت عائشة رضي الله عنها شراء جارية اسمها بريرة رفض أهلها بيعها إلا بشرط أن يكون الولاء لهم فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق القصة رواها البخاري رحمه الله تعالى في مواضع متعددة من صحيحه أنظر فتح 5636

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صَبَّحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَيَّنًا فَرَحَّصَ فِيهِ فَنَتَّرَهُ عَنْهُ قَوْمٌ قَبْلَ ذَلِكَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَطَبَ فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَتَرُهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ قَوْلَ اللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُم بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ حَسْبِيَّةً فتح 6101

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُحَامَةً فِي قَبِيلَةِ الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَحَّجُّ أَمَامَهُ أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيَتَنَحَّجَّ فِي وَجْهِهِ فَإِذَا تَنَحَّجَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَحَّجَّ عَنْ بَسَارِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا وَوَصَفَ الْقَاسِمُ فَتَقَلَ فِي تَوْبِهِ ثُمَّ مَسَحَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ صحيح مسلم رقم 550

وروى النسائي في سننه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَقَرَأَ الرَّؤْمَ فَالْتَبَسَ عَلَيْهِ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُصَلُّونَ مَعَنَا لَا يُحْسِنُونَ الطُّهُورَ فَإِنَّمَا يَلْبَسُ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ أَوْلَيْكَ سَنَنُ النَّسَائِيِّ : المجتبى 2 / 156، رجاله ثقات وعبد الملك بن عمير قال عنه الحافظ : ثقة عالم تغير حفظه وربما دلّس ورواه أحمد رحمه الله تعالى عن أبي رَوْحِ الْكَلَاعِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً فَقَرَأَ فِيهَا سُورَةَ الرَّؤْمِ فَلَبَسَ عَلَيْهِ بَعْضُهَا قَالَ إِنَّمَا لَبَسَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ الْقِرَاءَةَ مِنْ أَجْلِ أَقْوَامٍ يَأْتُونَ الصَّلَاةَ بَعْبَرٍ وَضُوءٍ فَإِذَا أُتِمَتِ الصَّلَاةُ فَأَحْسِنُوا الضُّوءَ . وكذلك رواه عن شعبة عن عَدِيِّ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ نَبِيًّا أَبَا رَوْحٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ صَلَّى الصُّبْحَ فَقَرَأَ فِيهَا الرَّؤْمَ فَأَوْهَمَ قَدَّرَهُ ورواه رحمه الله أيضا عن زائدة وسفيان عن عبد الملك المسند 3/473

والأمثلة كثيرة ويجمعها عدم فضح صاحب الخطأ . وأسلوب التعريض بالمخطئ وعدم مواجهته له فوائد منها:

- 1- تجنّب ردّ الفعل السلبي للمخطئ وإبعاده عن تزيين الشيطان له بالانتقام الشخصي والانتصار للنفس
- 2- أنه أكثر قبولا وتأثيرا في النفس
- 3- أنه أستر للمخطئ بين الناس
- 4- ازدياد منزلة المرابي وزيادة المحبة للناصح

وينبغي الانتباه إلى أنّ أسلوب التعريض هذا لإيصال الحكم إلى المخطئ دون فضحه وإحراجه إنما يكون إذا كان أمر المخطئ مستورا لا يعرفه أكثر الناس أما إذا كان أكثر الحاضرين يعرفونه وهو يعلم بذلك فإنّ الأسلوب حينئذ قد يكون أسلوب تقريع وتوبيخ وفضح بالغ السوء والمضايقه للمخطئ بل إنه ربما يتمنى لو أنه ووجه بخطئه ولم يُستعمل معه ذلك الأسلوب . ومن الأمور المؤثرة فرقا : من هو الذي يوجّه الكلام ؟ وبحضرة من يكون الكلام ؟ وهل كان بأسلوب الإثارة والاستفزاز أم بأسلوب النصح والإشفاق ؟

فالأسلوب غير المباشر أسلوب تربوي نافع للمخطئ ولغيره إذا استعمل بحكمة .

(15) إثارة العامة على المخطئ

وهذا يكون في أحوال معينة وينبغي أن يوزن وزنا دقيقا حتى لا تكون له مضاعفات سلبية وفيما يلي مثال نبوي لهذه الوسيلة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ اذْهَبْ قَاصِرًا فَإِنَّهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ اذْهَبْ قَاصِرًا مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ حَبْرَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَقَعَلَ وَقَعَلَ فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ ارجِعْ لا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ رواه أبو داود كتاب الأدب باب : في حق الجوار رقم 5153 وهو في صحيح أبي داود 4292

وبقابل هذا الأسلوب أسلوب آخر يُستخدم في أحوال أخرى ومع أشخاص آخرين في حماية المخطئ من إيذاء العامة وبينه الفقرة التالية :

(16) تجنب إعانة الشيطان على المخطئ

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يَلْقِبُ حِمَارًا وَكَانَ يُصْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجَلَدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَلْعَنُوهُ فَوَ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ رواه البخاري فتح 6780

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَكْرَانَ فَأَمَرَ بِصَرْبِهِ فَمِمَّا مَنَ بِصَرْبِهِ يَدَيْهِ وَمِمَّا مَنَ بِصَرْبِهِ بِنَعْلَيْهِ وَمِمَّا مَنَ بِصَرْبِهِ بِتَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ مَا لَهُ أَحْرَاةُ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَحْيَاكُمْ رواه البخاري فتح 6781

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ قَالَ اضْرِبُوهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَمِمَّا الصَّارِبُ يَدَيْهِ وَالصَّارِبُ بِنَعْلَيْهِ وَالصَّارِبُ بِتَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَحْرَاةُ اللَّهِ قَالَ : [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] لا تَقُولُوا هَكَذَا لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ البخاري فتح 6777

وفي رواية يُنَمُّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ يَكْتُمُوا فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَقُولُونَ مَا أَتَيْتَ اللَّهَ مَا حَسِبْتَ اللَّهُ وَمَا اسْتَحْسِبْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَمُّ أَرْسَلُوهُ وَقَالَ فِي آخِرِهِ وَلَكِنْ قُولُوا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ الْكَلِمَةَ وَتَحَوَّهَا أبو داود كتاب الحدود باب الحد في الخمر رقم 4478 4/620 ، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 3759

وفي رواية : فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَحْرَاةُ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَقُولُوا هَكَذَا لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ وَلَكِنْ قُولُوا رَحِمَكَ اللَّهُ رواه أحمد 2/300 قال أحمد شاكر : إسناده صحيح المسند ت. أحمد شاكر رقم 7973.

ويستفاد من مجموع هذه الروايات أنّ المسلم وإن وقع في معصية فإنه يبقى معه أصل الإسلام وأصل المحبة لله ورسوله فلا يجوز أن يُنفى عنه ذلك ولا أن يُدعى عليه بما يعين عليه الشيطان بل يُدعى له بالهداية والمغفرة والرحمة .

(17) طلب الكف عن الفعل الخاطئ

من الأهمية بمكان إيقاف المخطئ عن الاستمرار في الخطأ حتى لا يزداد سوءا وحتى يحصل القيام بإنكار المنكر ولا يتأخر

عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لَا وَآبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْ إِنَّهُ مَنْ خَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ 1/47 وَقَالَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ : إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ رَقْمٌ 329

"مه" كلمة زجر وإنكار بمعنى : اكفف

وروى أبو داود في سننه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُشَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّبِيِّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ

وروى الترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ تَجَسَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شُبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ سَنَّ التِّرْمِذِيُّ رَقْمٌ 2478 وَهُوَ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ رَقْمٌ 343

ففي هذه الأحاديث الطلب المباشر من المخطئ بالكف والامتناع عن فعله .

(18) إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه

وقد كان ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم بعدة أساليب منها :

- محاولة لفت نظر المخطئ إلى خطئه ليقوم بتصحيحه بنفسه

ومِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا جَالِسًا وَسَطَ الْمَسْجِدِ مُشَبَّهًا بَيْنَ أَصَابِعِهِ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِمًا إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَفْطِنُ قَالَ فَالْتَمَعَتْ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَقَالَ إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلَا يُشَبِّهَنَّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ 3/54 وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ : إِسْنَادُهُ حَسَنٌ 2/25

- طلب إعادة الفعل على الوجه الصحيح إذا كان ذلك ممكنا

فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي تَاجِيَةِ الْمَسْجِدِ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَارْجِعْ فَصَلِّ ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الْإِثْنِيثَةِ عَلِمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ فَتْحٌ 6251

ومن الملاحظ :

* أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتبه لأفعال الناس من حوله كي يعلمهم وقد وقع في رواية النسائي : أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُمُّهُ وَتَحْنُ لَا تَشْعُرُ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ .. الحديث 2/193 صحيح سنن النسائي رقم 1008

فمن صفة المربي أن يكون يقظا لأفعال من معه

* إن من الحكمة في التعليم طلب إعادة الفعل من المخطئ لعله ينتبه إلى خطئه فيصحح بنفسه خصوصا إذا كان الخطأ ظاهرا لا ينبغي أن يحدث منه وربما يكون ناسيا فيتذكر

* إن المخطئ إذا لم ينتبه إلى خطئه وجب البيان والتفصيل

* إن إعطاء المعلومة للشخص إذا اهتم بمعرفتها وسأل عنها وتعلقت بها نفسه أوقع أثرا في حسه وأحفظ في ذهنه من إعطائه إياها ابتداء دون سؤال ولا تشوُّف .

إن وسائل التعليم كثيرة يختار منها المربي ما يُناسب الحال والظرف .

ومن أمثلة طلب إعادة الفعل الخاطئ على الوجه الصحيح أيضا ما رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عَنْ جَابِرِ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفْرِ عَلى قَدَمِهِ فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ فَارْجِعْ ثُمَّ صَلَّى صحيح مسلم 243

ومثال ثالث فيما رواه الترمذي رحمه الله تعالى في سننه عن كِلْدَةَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ بِلَبْنٍ وَلَبْنًا وَصَغَابَيْسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْغَى الْوَادِيَّ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أَسَلْهُ وَلَمْ أَسْأَلْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْجِعْ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ رواه الترمذي رقم 2710 قال الترمذي حديث حسن غريب وضغابيس هو حشيش يؤكل والحديث في صحيح سنن الترمذي رقم 2180

- طلب تدارك ما أمكن لتصحيح الخطأ

فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَتِي حَرَجَتْ حَاجَةً وَاكْتُنِبْتُ فِي عَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا قَالَ ارْجِعْ فَحُجِّ مَعَ امْرَأَتِكَ الْفَتْح 5233

- إصلاح آثار الخطأ

روى النسائي رحمه الله تعالى في سننه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي جِئْتُ أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَيَّ بَيْنَكِيَانٍ قَالَ ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَصْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا الْمَجْتَبَى 7/143 وصحه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم 3881.

- الكفارة عن الخطأ

إذا كانت بعض الأخطاء لا يمكن استدراكها فإن الشريعة قد جعلت أبواباً آخر لمحو أثرها ومن ذلك الكفارات وهي كثيرة ككفارة اليمين والظهار وقتل الخطأ والوطء في نهار رمضان وغيرها .

(19) إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي

قد لا يكون الكلام أو الفعل كله خطأ فيكون من الحكمة الاقتصار في الإنكار على موضع الخطأ وعدم تعميم التخطئة لتشمل سائر الكلام أو الفعل ، يدل على ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن الربيع بنت مَعُوذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ : جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ حِينَ بَنِي عَلِيٍّ فَجَلَسَ عَلَيَّ فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي فَجَعَلَتْ جُوبِرِيَاتٍ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالذَّفِّ وَيَبْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ وَفِينَا نَبِيُّ يَعْلَمُ مَا فِي عَدِّ فَقَالَ دَعِي هَذِهِ وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ فَتَحَّ 5147 وفي رواية الترمذي : فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْكُتِي عَنْ هَذِهِ وَقُولِي الَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ قَبْلَهَا قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ سنن الترمذي طبعة شاكر 1090

وفي رواية ابن ماجه فقال أما هذا فلا تقولوه ما يعلم ما في عدي إلا الله سنن ابن ماجه ط. عبد الباقي رقم 1879 وصحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم 1539.

ولا شك أن مثل هذا التصرف يُشعر المخطئ بانصاف وعدل القائم بالإنكار والتصحيح ويجعل تنبيهه أقرب للقبول في نفس المخطئ بخلاف بعض المنكرين الذين قد يغضب أحدهم من الخطأ غضبا يجعله يتعدى في الإنكار يصل به إلى تخطئة ورفض سائر الكلام بما اشتمل عليه من حق وباطل مما يسبب عدم قبول كلامه وعدم انقياد المخطئ للتصحيح .

وبعض المخطئين لا يكون خطؤهم في ذات الكلام الذي تفوهوا به ولكن في المناسبة التي قالوا فيها ذلك الكلام كمثل قول البعض عند وفاة شخص : الفاتحة ثم يقرؤها الحاضرون وقد يحتجون بأن ما قرأوه قرأنا وليس كفرا فلا بد أن يبين لهم أن الخطأ في فعلهم هو في تخصيص الفاتحة بهذه المناسبة على وجه التعبد دون دليل شرعي وهذه هي البدعة بعينها . وهذا المعنى هو الذي لفت إليه ابن عمر رضي الله عنه نظر رجل عَطَسَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَسْنَ هَكَذَا عَلِمْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمْنَا أَنْ نَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ سنن الترمذي رقم 2738

(20) إعادة الحق إلى صاحبه وحفظ مكانة المخطئ

روى مسلم عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ جَمِيَّةٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرَادَ سَلْبَهُ فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لِيخَالِدٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ قَالَ اسْتَكْرَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِذْ قَعَهُ إِلَيْهِ فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ فَجَرَّ بَرْدَائِهِ ثُمَّ قَالَ هَلْ أَنْجَرْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَسَلِمَ فَاسْتَعْصَبَ فَقَالَ لا تُعْطِيَهُ يَا خَالِدُ لا تُعْطِيَهُ يَا خَالِدُ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرَائِي إِنَّمَا مَتَلِكُمْ وَمَتَلَهُمْ كَمَتَلِ رَجُلٍ اسْتُرِعِيَ إِلا أَوْ عَتَمًا فَرَعَاهَا ثُمَّ تَحَيَّنَ سَفِيهَا فَأَوْرَدَهَا حَوْصًا فَسَرَعَتْ فِيهِ فَسَرِبَتْ صَفْوُهُ وَتَرَكَتْ كَذْرَهُ فَصَفْوُهُ لَكُمْ وَكَذْرُهُ عَلَيْهِمْ مسلم بشرح النووي 12/64

ورواه الإمام أحمد رحمه الله بسياق أتم من هذا عن عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ عَرَوْنَا عَزْوَةَ إِلَى طَرْفِ الشَّامِ فَأَمَرَ عَلَيْنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ قَانَصَمَ إِلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَمْدَادِ حِمْيَرَ فَأَوَى إِلَى رَحْلِنَا لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ إِلَّا سَيْفٌ لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ غَيْرُهُ فَتَحَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جُرُورًا فَلَمْ يَرَلْ يَحْتَلِ حَتَّى أَحَدٌ مِنْ جَلْدِهِ كَهَيْئَةِ الْمِحْنِ حَتَّى بَسَطَهُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ وَقَدَ عَلَيْهِ حَتَّى جَفَّ فَجَعَلَ لَهُ مُمَسِكَ كَهَيْئَةِ التُّرْسِ فَقُضِيَ أَنْ لَقِينَا عَدُوًّا فِيهِمْ أَخْلَاطٌ مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ مِنْ فُضَاعَةَ فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشْقَرٌ وَسَرَجٌ مُدْهَبٌ وَمِنْطِقَةٌ مُلْطَحَةٌ دَهَبًا وَسَيْفٌ مِثْلُ ذَلِكَ فَجَعَلَ يَحْمِلُ عَلَى الْقَوْمِ وَيُعْرِي بِهِمْ فَلَمْ يَرَلْ ذَلِكَ الْمَدْرِيَّ يَحْتَالُ لِذَلِكَ الرَّومِيِّ حَتَّى مَرَّ بِهِ فَاسْتَيْقَاهُ فَصَدَّرَ عُرْقُوبَ فَرَسِهِ بِالسَّيْفِ فَوَقَعَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ ضَرْبًا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ الْقَنْحَ أَقْبَلَ يَسْأَلُ لِلْسَّلْبِ وَقَدْ شَهِدَ لَهُ النَّاسُ بِأَنَّهُ قَاتِلُهُ فَأَعْطَاهُ خَالِدٌ بَعْضَ سَلْبِهِ وَأَمْسَكَ سَائِرَهُ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى رَجُلٍ عَوْفٍ ذَكَرَهُ فَقَالَ لَهُ عَوْفٌ ارْجِعْ إِلَيْهِ فَلْيُعْطِكَ مَا يَهَيِّئُ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَأَبَى عَلَيْهِ فَمَشَى عَوْفٌ حَتَّى أَتَى خَالِدًا فَقَالَ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْسَّلْبِ لِلْقَاتِلِ قَالَ بَلَى قَالَ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْهِ سَلْبَ قَتِيلِهِ قَالَ خَالِدٌ اسْتَكْتَرْتُهُ لَهُ قَالَ عَوْفٌ لَيْنٌ رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَذْكَرَنَّ ذَلِكَ لَهُ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَهُ عَوْفٌ فَاسْتَعْدَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَعًا خَالِدًا وَعَوْفٌ قَاعِدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَمْنَعُكَ يَا خَالِدُ أَنْ تَدْفَعَ إِلَيَّ هَذَا سَلْبَ قَتِيلِهِ قَالَ اسْتَكْتَرْتُهُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ إِدْفَعْهُ إِلَيْهِ قَالَ فَمَرَّ بِعَوْفٍ فَجَرَّ عَوْفٌ بِرِدَائِهِ فَقَالَ لِيَجْزِيَنَّ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَعْصَبَ فَقَالَ لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكِي أَمْرَائِي إِنَّمَا مَنَّاكُمْ وَمَنْلَهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرِعِيَ إِيْلًا أَوْ عَنَمًا فَرَعَاهَا ثُمَّ تَحَيَّرَ سَفِيهَا فَأُورِدَهَا حَوْصًا فَسَرَعَتْ فِيهِ فَسَرِبَتْ صَفْوَةَ الْمَاءِ وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ فَصَفُوهُ لَكُمْ وَكَدْرَهُ عَلَيْهِمْ

ونلاحظ أن خالدا لما أخطأ في اجتهاده بمنع القاتل من السلب الكثير أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضع الأمر في نصابه بإعادة الحق إلى صاحبه ولكنه عليه الصلاة والسلام غضب لما سمع عوفا رضي الله عنه يعرض بخالد ويتهم عليه بقوله : هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عوف قد جرّ برداء خالد لما مرّ بجانبه فقال صلى الله عليه وسلم : لا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ وهذا من باب ردّ الاعتبار إلى الأمير والقائد لأن في حفظ مكانته بين الناس مصلحة ظاهرة .

وقد يرد هنا الإشكال الآتي : إذا كان القاتل قد استحق السلب فكيف يمنعه إياه ؟ أجب النووي رحمه الله عن ذلك بوجهين :

أحدهما : لعله أعطاه بعد ذلك للقاتل وإنما أخّره تعزيرا له ولعوف بين مالك لكونهما أطلقا ألسنتهما في خالد رضي الله عنه وانتهكا حرمة الوالي ومن ولاه .

الوجه الثاني : لعله استطاب قلب صاحبه فتركه صاحبه باختياره وجعله للمسلمين ، وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد رضي الله عنه للمصلحة في إكرام الأمراء .

الفتح الرباني 14/84

ومن شواهد مسألة إعادة الاعتبار لمن أخطئ عليه ما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة إن رجلا من بني قيس قاتل رجلين من بني قيس فقتلوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم والله إني لأبغض هذا في الله فقال أهل المجلس يسن والله ما قلت أما والله لئن كنت يا فلان رجلا منهم فأجيزه قال فذكره رسولهم فأخبره بما قال فأنصرف الرجل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مررت

بِمَجْلِسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ فُلَانٌ فَيَسَلِمُ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا السَّلَامَ فَلَمَّا جَاوَزْتُهُمْ أَدْرَكَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فُلَانًا قَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْغِضُ هَذَا الرَّجُلَ فِي اللَّهِ فَادْعُهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ مَا يُبْغِضُنِي فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ فَسَأَلَهُ عَمَّا أَحْبَبَهُ الرَّجُلُ فَأَعْتَرَفَ بِذَلِكَ وَقَالَ قَدْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلِمَ تُبْغِضُهُ قَالَ إِنِّي جَارُهُ وَأَنَا بِهِ خَيْرٌ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يُصَلِّي صَلَاةً قَطَّ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ قَالِيَ الرَّجُلُ سَلِّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ رَأَيْتَ قَطَّ أَحْرَبْتَهَا عَنِّي وَفِتْنَاهَا أَوْ أَيْسَأْتُ الْوُضُوءَ لَهَا أَوْ أَسَأْتُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فِيهَا فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لَا تُنَمِّ قَالَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يَصُومُ قَطَّ إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ الَّذِي يَصُومُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ رَأَيْتَ قَطَّ أَفْطَرْتُ فِيهِ أَوْ انْتَقَصْتُ مِنْ حَقِّهِ شَيْئًا فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَا تُنَمِّ قَالَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يُعْطِي سَائِلًا قَطَّ وَلَا رَأَيْتُهُ يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ إِلَّا هَذِهِ الصَّدَقَةَ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ قَالَ فَسَلِّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ كَتَمْتُ مِنَ الزَّكَاةِ شَيْئًا قَطَّ أَوْ مَا كَسَيْتُ فِيهَا طَالِبِيهَا قَالَ فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ وَرَدَّ فِي الْمَسْنَدِ بَعْدَ هَذَا الْحَدِيثِ مَبَاشِرَةً مَا يَلِي : حَدَّثَنَا يَعْقُوبٌ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَجُلًا فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا الطَّفَيْلِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بَلَّغَنِي أَنَّ ابْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ حِفْظِهِ وَقَالَ عَنْ أَبِي الطَّفَيْلِ حَدَّثَ بِهِ ابْنُهُ يَعْقُوبُ عَنْ أَبِيهِ فَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا الطَّفَيْلِ فَأَحْسِبُهُ وَهَمَّ وَالصَّحِيحُ رَوَايَةُ يَعْقُوبَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ * المسند 5/455 وقال الهيثمي رجال أحمد ثقات أثبات المجمع 1/291

ومن الأمور المهمة حفظ مكانة المخطئ بعد توبته ورجوعه لكي يثبت على الاستقامة وبممارسة حياة عادية بين الناس وقد جاء في قصة المرأة المخزومية التي قطعت يدها عن عائشة رضي الله عنها : فَجَسَّتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ وَتَرَوَّجَتْ وَكَأَنَّ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ قَارِعٌ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِيح مسلم رقم 1688 وقد تقدم

(21) توجيه الكلام إلى طرفي النزاع في الخطأ المشترك

في كثير من الأحيان يكون الخطأ مشتركاً ويكون المخطئ مخطئاً عليه في الوقت نفسه ولكن نسبة الخطأ ربما تتفاوت بين الطرفين فينبغي توجيه الكلام والنصح إلى طرفي الخطأ وفيما يلي مثال :

عن عبد الله بن أبي أوفى قال : شكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا خالد لا تؤذ رجلاً من أهل بدر فلو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله فقال : يقعون فيي فأرد عليهم فقال : لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله عز وجل صبه الله على الكفار . قال الهيثمي : رجال الطبراني ثقات المجمع 9/349 وانظر المعجم الكبير للطبراني حديث رقم : 3801

(22) مطالبة المخطئ بالتحلل ممن أخطأ عليه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضها بعضاً في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهتئ لهما طعاماً فقال أحدهما لصاحبه إن هذا لنؤوم (هذا في تفسير ابن كثير في ط. دار الشعب وفي اللفظ الذي ساقه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2608 إن هذا ليوائم نوم نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي رواية ليوائم نوم بيتكم) فأيقظاه فقالا انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له

إن أبا بكر وعمر يُقرئانك السلام وهما يستأذنانك (أي يطلبان الإذام للطعام)
فقال: أقرئهما السلام وأخبرهما أنهما قد اتدما!

ففرعاً فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بعثنا إليك نستأدمك
فقلت قد اتدما فبأي شيء اتدما؟ قال: بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأرى
لحمه بين أنيابكما. يعني لحم الذي استغاباه، قال: فاستغفر لنا، قال: هو فليستغفر
لكما. السلسلة الصحيحة رقم 2608 وعزاه إلى الخرائطي في مساوئ الأخلاق والضيء في
المختارة وأورده ابن كثير في تفسير سورة الحجرات 7/363 ط. دار الشعب

(23) تذكير المخطئ بفضل من أخطأ عليه ليندم ويعتذر

وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما حصل بين أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التفسير من صحيحه عن أبي الدرداء
رضي الله عنه قال: كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةً فَأَعْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَعْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ
فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَتَحَنُّنٌ عِنْدَهُ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا صَاحِبِكُمْ هَذَا فَقَدْ عَامَرَ (أي: دخل في خصومة)
قَالَ وَتَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلِمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَبْرَ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَعَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمُ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي
صَاحِبِي إِنِّي قُلْتُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
صَدَقْتَ فتح 4640

وروى البخاري القصة أيضا في كتاب المناقب من صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله
عنه قال كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ أَخْذًا يَطْرَفُ نَوْبِهِ
حَتَّى أُبْدِيَ عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا صَاحِبِكُمْ فَقَدْ عَامَرَ فَسَلِمَ
وَقَالَ إِنِّي كَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ تَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
فَأَبَى عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أبا بَكْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ تَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي
بَكْرٍ فَسَأَلَ أَنْتُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا لَا فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلِمَ وَجَعَلَ وَجْهُ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ حَتَّى اشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَنَّا عَلَيَّ رُكْبَتِي فَقَالَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ
فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَأَسَانِي بِنَفْسِيهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ (هكذا لفظه في
فضائل الصحابة وفي كتاب التفسير تاركون) لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا فتح رقم
3661

(24) التدخل لتسكين الثائرة ونزع فتيل الفتنة بين المخطئين

وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في عدد من المواضع ولما أوشك أن يقع بين
المسلمين اقتتال تدخل عليه الصلاة والسلام كما جاء في حادثة الإفك عن عائشة رضي
الله عنها قالت في تلك القصة: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ
فَاسْتَعْدَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَغْذِرُنِي مِنْ
رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ آدَاهُ فِي أَهْلِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَلَقَدْ دَكَّرُوا رَجُلًا مَا
عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ قَالَتْ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ
الْأَسْهَلِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْذِرُكَ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ صَرَبْتُ عُقْبَةَ وَإِنْ كَانَ مِنْ

إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَرْجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ قَالَتْ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَرْجِ وَكَاتَتْ أُمَّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخْدِهِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَرْجِ قَالَتْ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اخْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدٍ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتِ أَنْ يُقْتَلَ فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ حُصَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ فَقَالَ لِسَعْدٍ بِنِ عُبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَيَقْتُلَنَّ فَإِنَّكَ مُتَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُتَافِقِينَ قَالَتْ فَتَارَ الْحَبَانِ الْأَوْسُ وَالْخَرْجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَفْتَلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا مُتَّفِقِينَ عَلَيْهِ
الفتح 4141

وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني عمرو بن عوف ليُصلح بينهم وتأخر من أجل ذلك عن بداية صلاة الجماعة كما في الصحيحين وفي رواية النسائي : عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : وَقَعَ بَيْنَ حَبِيبِ بْنِ الْأَنْصَارِ كَلَامٌ حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَأَدَانَ يَلَالٌ وَانْتَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحْتَبَسَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. الحديث المجتبي كتاب آداب القضاة 8/243 وفي رواية لأحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بَنِي عَمْرٍو بَنِي عَوْفٍ قَدِ افْتَلُوا وَتَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ ..
المسند 5/338

(25) إظهار الغضب من الخطأ

إذا رآه أو سمع به وخصوصاً عندما يكون الخطأ متعلقاً بالاعتقاد ومن ذلك الخوض في القدر والتنازع في القرآن : ففي سنن ابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدْرِ فَكَأَنَّمَا يُفَقِّحُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْعَصَبِ فَقَالَ بِهَذَا أَمْرُكُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ بِهَذَا هَلَكْتَ الْأُمَّةُ قَبْلَكُمْ قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو مَا عَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَحَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَتَحَلَّفِي عَنْهُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ رَقْمَ 85 وَقَالَ فِي الزَّوَائِدِ : هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رَجَّاهُ ثِقَاتٌ وَقَالَ فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ رَقْمَ 69 وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي عَاصِمٍ فِي كِتَابِ السَّنَةِ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدْرِ ، هَذَا يَنْزِعُ آيَةَ وَهَذَا يَنْزِعُ آيَةَ فَكَأَنَّمَا سُفِي فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ فَقَالَ أَلِهَذَا خُلِقْتُمْ أَمْ بِهَذَا أَمَرْتُمْ لَا تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه .
السنة لابن أبي عاصم ت: الألباني رقم 406 وقال : إسناده حسن

ومما حصل من غضبه صلى الله عليه وسلم إنكاراً في مسألة من الأساسات ما حصل في قصة عمر رضي الله عنه في قضية مصدر التلقي فقد روى أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن جابر ابن عبد الله أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ أَصَابَةٍ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ (!) النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَضِبَ فَقَالَ أُمَّتُهُوَكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ تَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَيُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِطَائِلٍ فَيُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي مُسْنَدُ أَحْمَدُ 3/387 وَحَسَنُهُ
الألباني بشواهد في الإرواء رقم 1589 ومعنى متهوكون أي : متحIRON

وقد روى الحديث أيضا الدارمي رحمه الله تعالى عن جابر أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُحْحَةٍ مِنَ التَّوْرَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ سُحْحَةٌ مِنْ

التَّوْرَةَ فَسَكَتَ فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ يَتَغَيَّرُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ تَكَلِّتُكَ اللَّتَوَاكِلُ مَا يَرَى مَا بَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَعَضَبِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي تَفْسُ مَحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى فَأَتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَصَلَّيْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوتِي لَاتَّبَعْتَنِي سَنَنَ الدَّارِمِيِّ رَقْم 441 : المقدمة : باب ما يُتَقَى من تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقول غيره عند قوله صلى الله عليه وسلم وقال المحقق عبد الله هاشم يماني : رواه أيضا أحمد بإسناد حسن وابن حبان بإسناد صحيح

ومن شواهد حديث أبي الدرداء : قال : جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن زيد - الذي أرى الأذان - أمسخ الله عقلك ؟ ألا ترى الذي بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضىنا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم ضلالا بعيدا أتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين قال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي ولم أر من ترجمه وبقية رجاله موثقون المجمع 1/174

ونلاحظ في شواهد هذه القصة الدور المساند للمربي من قبل الحاضرين مع ملاحظة تغير وجه المربي واتخاذ الموقف بناء على ذلك ولا شك أن اجتماع هذه الأمور يحدث في نفس الموعوظ الأثر البالغ فإن العملية مرّت بالمراحل التالية :

أولا : الانفعال الذي حدث للنبي صلى الله عليه وسلم بتغير وجهه غضبا قبل أن يتكلم

ثانيا : ملاحظة الصديق وعبد الله بن زيد لذلك وتنبيه عمر عليه

ثالثا : تنبيه عمر لخطئه ومبادرته إلى تصحيح ذلك والاعتذار عما فعل مستعيذا بالله من غضب الله وغضب رسوله ومعلنا للأصل الأصيل من الرضى بالله ورسوله ودينه

رابعا : انفراج أسارير النبي صلى الله عليه وسلم من رجوع عمر وإدراكه لخطئه

خامسا : التعقيب النبوي الكريم في تثبيت الأصل والتأكيد عليه من وجوب اتباع شريعة النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من مصادر التلقي الأخرى .

ومما حصل من غضبه صلى الله عليه وسلم لرؤية منكر ما ورد في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُحَامَةً فِي الْقِبْلَةِ فَسَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ فَقَامَ فَحَكَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُتَاجَى رَبَّهُ أَوْ إِنْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَلَا يُبْرَقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ثُمَّ أَحَدٌ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا

فتح 405

ومما حصل من غضبه صلى الله عليه وسلم عند سماعه لخطأ أدى إلى مفسدة ما ورد في البخاري أيضا عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لِأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْعِدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِتَأْخِيرِهَا قَالَ فَمَا رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ

يَوْمِيذٍ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُتَّقِرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ فِيهِمْ
الكبير والصَّعِيفَ وَدَا الْحَاجَةَ فَتَحَ 7159

ومن هذا الباب أيضا إظهار المفتي للغضب عند تكلف المستفتي وتعبته فعن زيد بن خالد
الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَلْتَقِطُهُ
فَقَالَ عَرَفَهَا سَنَةً ثُمَّ اجْفَطَ عِقَاصَهَا وَوَكَّأَهَا فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِهَا وَإِلَّا فَاسْتَنْفِهَا قَالَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ فَصَالُهُ الْعَتَمَ قَالَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّبِّ قَالَ صَالُهُ الْإِيلَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا جِدَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ
رواه البخاري فتح 2436

إن انفعال المرابي المتوازن مع الخطأ عند حدوثه أو رؤيته أو سماعه بحيث يُرى ذلك في
وجهه ويُعرف في صوته وأسلوبه هو علامة حياة في القلب ضد المنكر وعدم السكوت
عليه حتى يقع في قلوب الحاضرين الرهبة من ذلك الخطأ ويعمل الكلام وقت الانفعال
في النفوس عمله المؤثر هذا بخلاف كتم الأمر أو تأخيره فربما يبرد أو يزول أثر التعليق

وقد يكون من الحكمة تأخير التعليق على الحادثة المنكرة أو الكلام الخطير الخاطئ إلى
حين جمع الناس أو اجتماعهم لأجل أهمية الأمر أو لعدم وجود العدد الكافي الذي يتعظ
وينقل ولا يمانع من تعليقين خاص مباشر وعام مؤخر ففي صحيح البخاري عن أبي حميد
السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَعَ
مِنْ عَمَلِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدِي لِي فَقَالَ لَهُ أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَيْبِكَ
وَأَمَّكَ فَتَنَظَّرْتَ أَتُهْدَى لَكَ أَمْ لَا ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ
فَتَشَهَّدَ وَأَتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَمَا يَالُ الْعَامِلُ تَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِيْنَا
فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أَهْدِي لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَتَنَظَّرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا
فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدَكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى
عُنُقِهِ إِنْ كَانَ يَغْبِرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةٌ جَاءَ بِهَا لَهَا جُورٌ وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ
بِهَا يَبَعْرُ فَقَدْ بَلَغْتُ فَقَالَ أَبُو حَمِيدٍ ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ حَتَّى إِذَا
لِنَظَرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطِيهِ فَتَحَ 6636

(26) التولي عن المخطئ وترك جداله لعله يراجع الصواب

روى البخاري رحمه الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَهُ وَقَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ
لَهُمْ أَلَا تُصَلُّونَ فَقَالَ عَلِيُّ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا
فَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا ثُمَّ
سَمِعَهُ وَهُوَ مُدِيرٌ يَضْرِبُ فِخْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } وكلام علي
رضي الله عنه يحتمل أمورًا يُنظر الفتح 7347

(27) عتاب المخطئ

كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع حاطب رضي الله عنه حينما علم أنه أرسل إلى
كفار قريش يخبرهم بنية المسلمين في التوجه إلى مكة لفتحها فإنه قال له :

مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكُونُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا عَثَرْتُ
وَلَا بَدَلْتُ أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي وَلَيْسَ مِنْ

أَصْحَابِكَ هُنَاكَ إِلَّا وَلِيُّ مَنِ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ قَالَ صَدَقَ فَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا حَيَّرًا
قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِنَّهُ قَدْ جَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَنِي فَأَضْرَبَ عُنُقَهُ
قَالَ فَقَالَ يَا عُمَرُ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَيَّ أَهْلٌ يَدْرُ فَقَالَ اأَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ
وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ قَالَ قَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَتَح 6259

وفي هذه القصة عدد من الفوائد التربوية العظيمة :

- 1- معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي المخطئ خطأ بالغا بقوله له : ما حملك على ما صنعت .
- 2- الاستعلام عن السبب الذي دفع بالمخطئ إلى الخطأ وهذا لاشك سيؤثر في الموقف الذي سيُتخذ منه .
- 3- أن أصحاب الفضل والسابقة ليسوا معصومين من الذنب الكبير .
- 4- أن على المرابي أن يكون واسع الصدر في تحمّل أخطاء أصحابه ليدوموا معه على المنهج السويّ فالغرض إصلاحهم لا إبعادهم .
- 5- أن على المرابي أن يقدر لحظة الضعف البشري التي قد تمرّ ببعض من معه وأن لا يؤخذ بسقطة قوية وخطأ فظيع قد يقع من بعض القدامى .
- 6- المدافعة عن من يستحق الدفاع عنه من المخطئين
- 7- أن المخطئ إذا كانت له حسنات عظيمة سابقة فلا بدّ أن تؤخذ بالاعتبار عند تقويم خطئه واتخاذ موقف منه .

(28) لوم المخطئ

الخطأ الواضح لا يُمكن السكوت عليه ولا بد من توجيه لوم وتأنيب إلى المخطئ بادئ ذي بدئ ليحس بخطئه روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قَالَ : كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ تَصِيبِي مِنَ الْمَعِيمِ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ قَلَمًا أَرَدْتُ أَنْ أُتَبِّئَ بِقَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعَدْتُ رَجُلًا صَوَاعًا مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعٍ أَنْ يَزْتَجِلَ مَعِيَ فَتَأْتِي بِأَذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أُبِيعَهُ الصَّوَّاعِينَ وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَليمة عُرْسِي قَبِينَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفِي مَتَاعًا مِنَ الْأَقْتَابِ وَالْعَرَائِرِ وَالْجِبَالِ وَشَارِقَايَ مُتَاحَتَانِ إِلَى جَبِّ حُجْرَةٍ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ قَادًا شَارِقَايَ قَدْ اجْتَبَّ (جَبَّ أَي قَطَعَ) أَسْنِمْتُهُمَا وَبُقِرْتُ (بَقِرَ أَي شَقَّ) حَوَاصِرُهُمَا وَأَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْتِي حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا فَقُلْتُ مَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَالُوا فَعَلَ حَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَنْطَلِقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِ الَّذِي لَقِيتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطَّ عَدَا حَمْرَةَ عَلَيَّ يَأْتِي فَاجِبٍ أَسْنِمْتُهُمَا وَبَقِرَ حَوَاصِرَهُمَا وَهَا هُوَ دَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ قَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِدَائِهِ فَارْتَدَى ثُمَّ أَنْطَلَقَ يَمْشِي وَابْتِغَتْهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْرَةُ فِاسْتَادَنَ فَأَذْبُوا لَهُمْ قَادًا هُمْ شَرَبُوا قَطِيقًا (شرع وبدأ) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلُومُ حَمْرَةَ فِيمَا فَعَلَ قَادًا حَمْرَةَ قَدْ تَمَلَّ مُحَمَّدٌ عَيْنَاهُ فَتَنَظَرَ حَمْرَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ فَتَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ فَتَنَظَرَ إِلَى سُرَّتَيْهِ ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ فَتَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ

ثُمَّ قَالَ حَمْرَهُ هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدُ لِأَبِي فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ تَمَلَّ
(أَي سَكِرَ فَفَقَدَ رَشْدَهُ) فَتَكَصَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَقَبِيهِ الْقَهْقَرَى
وَحَرَجْنَا مَعَهُ الْفَتْحَ رَقْم 3091 وهذه القصة قبل تحريم الخمر

(29) الإعراض عن المخطئ

روى الإمام أحمد رحمه الله عن حميد قال أتاني الوليد أتا وصاحب لي قال فقال لنا هلمّا فأئبنا أئب مني سينا وأوعى للحديث مني قال فأطلق بنا إلى يشر بن عاصم قال فقال له أبو العالبيه تحدث هذين حديثك قال حدثنا عوف بن مالك قال أبو النصر الليثي قال بهر وكان من رهطه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية قال فأغارت على قوم قال فبئذ من القوم رجل قال فاتبه رجل من السرية شاهرا سيفه قال فقال الشاذ من القوم أبي مسلم قال فلم ينظر فيما قال فصربه فقتله قال فتمى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال فيه قولا شديدا فبلغ القائل قال فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قال القائل يا رسول الله والله ما قال الذي قال إلا تعودا من القتل قال فأعرض عنه وعمن قبله من الناس وأخذ في خطبه ثم قال أيضا يا رسول الله ما قال الذي قال إلا تعودا من القتل فأعرض عنه وعمن قبله من الناس وأخذ في خطبه ثم لم يصبر فقال الثالثة يا رسول الله والله ما قال إلا تعودا من القتل فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف المساءة في وجهه قال له إن الله عز وجل وأبي على من قتل مؤمنا ثلاث مرات المسند 5/289 وانظر السلسلة الصحيحة

2/309

وروى النسائي رحمه الله عن أبي سعيد الخدري أن رجلا قدم من تجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنك جئتني وفي يدك جمره من نار المجتبى 8/170 صحيح سنن النسائي 4793 ورواه أحمد بسياق أبسط من هذا عن أبي سعيد الخدري أن رجلا قدم من تجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسأله عن شيء فرجع الرجل إلى امرأته فحدثتها فقالت إن لك لساتا فارجع إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع إليه فالفى خاتمته وجبهه كانت عليه فلما استأذنه أذن له وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فردد عليه السلام فقال يا رسول الله أعرضت عني قبل حين جئتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك جئتني وفي يدك جمره من نار فقال يا رسول الله لقد جئت إذا بجمر كثير وكان قد قدم بحلي من البحرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ما جئت به غير معلن عتلا سبنا إلا ما أعيت جارة الجرة ولكنه متاع الحياة الدنيا فقال الرجل فقلت يا رسول الله أعدوني في أصحابك لا يظنون أنك سخطت علي بشيء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدّره وأخبر أن الذي كان منه إنما كان لإخاتمه الذهب . المسند 3/14.

وفي رواية لأحمد رحمه الله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على بعض أصحابه خاتما من ذهب فأعرض عنه فألقاه واتخذ خاتما من حديد فقال هذا شر هذا جليته أهل النار فألقاه فاتخذ خاتما من ورق فسكت عنه المسند 163. المسند ت. أحمد شاكر برقم 6518 وقال إسناده صحيح.

(30) هجر المخطئ

وهو من الأساليب النبوية المؤثرة خصوصا إذا عظم الخطأ والذنب وذلك لما يحدثه الهجران والقطيعة من الأثر البالغ في نفس المخطئ ومن أمثلة ذلك ما حصل لكعب بن مالك وصاحبيه الذين خُلفوا في قصة غزوة تبوك : فبعد أن تأكد للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن لهم عذر واعترفوا بذلك قال كعب رضي الله عنه

وَتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَكَرَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أُعْرِفُ فَلَيْسْنَا عَلَى ذَلِكَ حَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَاثَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ لِلصَّلَاةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَلِمَ عَلَيَّ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَكْتُ شَيْئًا يَرُدُّ السَّلَامَ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أَصَلَى قَرِيبًا مِنْهُ فَاسَارَفُهُ النَّظَرُ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا التَّفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَسَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلِمْتُ عَلَيْهِ قَوْلَ اللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَسَكَتَ فَعَدْتُ لَهُ فَتَسَدُّتُهُ فَسَكَتَ فَعَدْتُ لَهُ فَتَسَدُّتُهُ فَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَاصَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ .. إِلَى أَنْ قَالَ رضي الله عنه في قصته :

حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا حَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ تَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الصُّبْحِ حَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْتَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي دَكَرَ اللَّهُ قَدْ صَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَصَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبْتُ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْقَى عَلَيَّ جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبَشِرْ . فتح 4418

وفي هذه القصة من الفوائد العظيمة والعظات البالغة ما لا ينبغي تفويته بحال ويمكن الاطلاع على شيء من ذلك في شروح العلماء للقصة كزاد المعاد وفتح الباري .

ومما يدل على اعتماده صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب أيضا ما رواه الترمذي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا كَانَ خُلُقِي أَبْعَصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكِبْرِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَذِبَةِ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحَدَتْ مِنْهَا تَوْبَةً قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ سنن الترمذي رقم 1973

وفي رواية أحمد (.. فما يزال في نفسه عليه ..) المسند 6/152

وفي رواية : وما اطلع منه على شيء عند أحد من أصحابه فيبخل له من نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة . السلسلة الصحيحة 2052

وفي رواية : " كان إذا اطَّلَعَ على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يُحَدِّثَ توبة " رواه الحاكم صحيح الجامع 4675

ويتضح من الروايات السابقة أن الإعراض عن المخطئ حتى يعود عن خطئه أسلوب تربوي مفيد ولكن لكي يكون نافعا لا بد أن يكون الهاجر والمُعْرَضُ له مكانة في نفس المهجور وإلا فلن يكون لهذا الفعل أثر إيجابي عليه بل ربما يشعر أنه قد استراح .

(31) الدعاء على المخطئ المعاند

روى مسلم رحمه الله : أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ فَقَالَ كُلُّ يَمِينِكَ قَالَ لَا اسْتَطِيعُ قَالَ لَا اسْتَطِيعَتْ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ
رقم 2021

وفي رواية لأحمد : عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ بُسْرُ بْنُ رَاعِي الْعَيْرِ أَبْصَرَهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ فَقَالَ كُلُّ يَمِينِكَ فَقَالَ لَا اسْتَطِيعُ فَقَالَ لَا اسْتَطِيعَتْ قَالَ فَمَا وَصَلَتْ يَمِينُهُ إِلَى قِمِّهِ بَعْدُ . 4/45

قال النووي رحمه الله تعالى : وفي هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل . شرح صحيح مسلم 13/192

ونلاحظ هنا أن الدعاء عليه لم يكن بما يُعين عليه الشيطان ولكن كان بما يُشبهه التعزير .

(32) الإعراض عن بعض الخطأ اكتفاء بما جرت الإشارة إليه منه تكراً مع المخطئ

{ وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير { التحريم/3

قال القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل :

{ وإذ أسرَّ النبي { أي محمد صلى الله عليه وسلم { إلى بعض أزواجه { هي حفصة { حديثاً { تحريم فتاته .. أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له

{ فلما نبأت به { أي أخبرت بالسر صاحبته (عائشة)

{ وأظهره الله عليه { أطلعه عن حديثها به

{ عرّف بعضه { أي عرّفها بعض ما أفشته معاتباً

{ وأعرض عن بعض { أي بعض الحديث تكراً

تنبيه في الإكليل : في الآية أنه لا بأس بإسرار بعض الحديث إلى من يُركن إليه من زوج أو صديق ، وأنه يلزمه كتمانها . وفيها حسن المعاشرة مع الزوجات ، والتلطف في العتب ، والإعراض عن استقصاء الذنب . محاسن التأويل 16/222

قال الحسن ما استقصى كريم قط ، وقال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام

(33) إعانة المسلم على تصحيح خطئه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكت قال ما لك قال وقعت على امرأتي وأنا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تجد رقبة تُعفها قال لا قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا فقال فهل تجد إطعام سبعمائة مسكينا قال لا قال فمكَّت النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيَّنَّا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَبِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقِ فِيهَا تَمْرٌ
وَالعَرَقُ المَكْتَبُ (وهو الزنبيل الكبير) قَالَ آيِنُ السَّائِلِ فَقَالَ أَنَا قَالَ خَذْهَا فَتَصَدِّقْ بِهِ
فَقَالَ الرَّجُلُ أَعْلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ أَهْلُ بَيْتِ
أَفْقَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَصَحَّكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَثْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ أَطْعِمْهُ
أَهْلَكَ رواه البخاري فتح 1936

وفي رواية أحمد عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا هُوَ
جَالِسٌ فِي ظِلِّ قَارِعٍ أَجْمٍ حَسَانَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ اخْتَرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا بَيَّنَّاكَ
قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ قَالَتْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْلِسْ فَجَلَسَ فِي تَاجِيَةِ القَوْمِ فَأَتَى رَجُلٌ بِحِمَارٍ عَلَيْهِ غَرَارَةٌ فِيهَا تَمْرٌ قَالَ
هَذِهِ صَدَقَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيِنُ المُحْتَرِقِ أَيْقَا
فَقَالَ هَا هُوَ ذَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ خُذْ هَذَا فَتَصَدِّقْ بِهِ قَالَ وَآيِنُ الصَّدَقَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا
عَلَيَّ وَلي فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ أَنَا وَعِيَالِي شَيْئًا قَالَ فَخَذَهَا فَأَخَذَهَا المَسْنَدُ 6/276.

(34) ملاقاته المخطئ ومجالسته لأجل مناقشته

في صحيح البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَنكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً دَاتَ حَسَبٍ فَكَانَ
يَتَعَاهَدُ كَنْتَهُ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِهَا فَتَقُولُ نَعَمْ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا وَلَمْ يُعْتَشْ
لَنَا كَنْتًا مُنْذُ أَتَيْتَاهُ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ القِنِي بِهِ
فَلَقِيئُهُ بَعْدُ فَقَالَ كَيْفَ تَصُومُ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ وَكَيْفَ تَحْتِمُ قَالَ كُلَّ لَيْلَةٍ قَالَ صُمْ فِي كُلِّ
شَهْرٍ ثَلَاثَةً وَاقْرَأِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ قَالَ فُلْتُ أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
فِي الجُمُعَةِ فُلْتُ أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ أَفْطِرُ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا قَالَ فُلْتُ أَطِيقُ أَكْثَرَ
مِنْ ذَلِكَ قَالَ صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ
لَيَالٍ مَرَّةً فَلَقِيئِي قِيلَتْ رُحْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ أَنِّي كَبُرْتُ
وَصَعَفْتُ فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ السَّبْعِ مِنَ القُرْآنِ بِالنَّهَارِ وَالَّذِي يَقْرؤُهُ يَعْزُضُهُ مِنَ
النَّهَارِ لِيَكُونَ أَحْفَ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَّقُوهُ أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَخْصَى وَصَامَ مِنْهُنَّ
كَرَاهِيَةً أَنْ يَتْرَكَ شَيْئًا فَارَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ
بَعْضُهُمْ فِي ثَلَاثٍ وَفِي حَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ الفتح 5052

وفي رواية أحمد مزيد إيضاح وفوائد حسنة : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَوَّجَنِي أَبِي
امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيَّ جَعَلَتْ لَا أَنْحَاسُ لَهَا مِنِّي مِنْ القُوَّةِ عَلَى العِبَادَةِ مِنَ
الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ فَجَاءَ عَمْرُؤُ بِنِ العَاصِ إِلَى كَنْبِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهَا كَيْفَ وَجَدْتِ
بِعَلِّكَ قَالَتْ خَيْرَ الرِّجَالِ أَوْ كَخَيْرِ البُعُولَةِ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يُعْتَشْ لَنَا كَنْتًا وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا فِرَاشًا
فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَعَدَمَنِي قَالَ ابْنُ الأثير عذموه أي أخذوه بالسنتهم ، وأصل العذم العضم ..
ومنه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص " فأقبل عليَّ أبي فعذمني وعضني بلسانه "
النهاية 3/200 وَعَصَنِي بِلِسَانِهِ فَقَالَ أَنكَحْتُكَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَاتَ حَسَبٍ فَعَصَلْتَهَا (أي
أهملتُها فلم تعاملها معاملة الزوجة) وَفَعَلْتِ وَفَعَلْتِ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَشَكَانِي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّبَعْتُهُ فَقَالَ لِي أَتَصُومُ النَّهَارَ
فُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ فُلْتُ نَعَمْ قَالَ لِكَيْبِي أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَصْلِي وَأَتَامُ وَأَمْسُ النِّسَاءِ
فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُئْبِي فَلَيْسَ مِنِّي قَالَ أَقْرَأِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ فُلْتُ إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى
مِنْ ذَلِكَ قَالَ قَافِرَاهُ فِي كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ فُلْتُ إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ أَخَذَهُمَا إِمَّا
حُصْبِي وَإِمَّا مُغِيرَهُ قَالَ قَافِرَاهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ قَالَ ثُمَّ قَالَ صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فُلْتُ
إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَلَمْ يَرَلْ يَرْفَعُنِي حَتَّى قَالَ صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرُ يَوْمًا فَإِنَّهُ أَفْضَلُ
الصِّيَامِ وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ قَالَ حُصِينٌ فِي حَدِيثِهِ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ
لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ قِتْرَةٌ فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى بَدْعَةٍ فَمَنْ كَانَتْ قِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ

فَقَدِ اهْتَدَى وَمَنْ كَاتَتْ فَتَرْتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ قَالَ مُجَاهِدٌ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو
 حَيْثُ صَعَفَ وَكَبِرَ يَصُومُ الْإِيَّامَ كَذَلِكَ يَصِلُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ لِيَتَّقُوِي بِذَلِكَ ثُمَّ يُفْطِرُ بَعْدَ
 تِلْكَ الْإِيَّامِ قَالَ وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ حَرْبٍ كَذَلِكَ يَزِيدُ أَحْيَانًا وَيَنْقُصُ أَحْيَانًا غَيْرَ أَنَّهُ يُوفِي
 الْعَدَدَ إِمَّا فِي سِتِّعٍ وَإِمَّا فِي ثَلَاثٍ قَالَ ثُمَّ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ لَأَنْ أَكُونَ قَبْلُ رُحْصَةَ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُذِلَ بِهِ أَوْ عَدَلَ لِكَيْ يَفَارِقَهُ عَلَى أَمْرٍ
 أَكْرَهُ أَنْ أَحَالِقَهُ إِلَى غَيْرِهِ الْمُسْنَدُ 2/158 وَقَالَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ تَحْقِيقُ الْمُسْنَدِ رَقْمُ
 6477

ومن فوائد القصة :

- معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المشكلة وهو الانهماك في العبادة بحيث لم
 يبق وقت لأداء حق الزوجة فوقه التقصير

- إن مبدأ أعط كل ذي حق حقه يطبق في حق كل من كان منشغلا ومنهماك بأمر من
 الطاعات كطالب العلم الذي يلقي دروسا كثيرة والداعية المنغمس في شئون دعوته
 بحيث يؤدي ذلك إلى شكاية الزوجة وتضررها وهذا ينشأ عن عدم الموازنة في القيام
 بالطاعات المختلفة وتوزيع الوقت على أصحاب الحقوق ، فلا بأس أن يخفف هذا من
 دروسه شيئا ما وهذا من انشغالاته بحيث يتوفر الوقت الكافي للاهتمام بالبيت والزوجة
 والأولاد وإعطائهم حقوقهم في الإصلاح والمعاشرة والتربية .

(35) مصارحة المخطئ بحاله وخطئه

روى البخاري رحمه الله عن أبي ذرٍّ قال : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً
 فَبَلَغَتْ مِنْهَا قَدْرَ نَبِيٍّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي أَسَأَيْتَ فُلَانًا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ
 أَقْبَلْتِ مِنْ أُمِّهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ قُلْتُ عَلَى حِينِ سِبَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ
 السِّنِّ قَالَ نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَحَاهُ تَحْتَ يَدِهِ
 فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَعْزُبُ عَنْهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَعْزُبُ
 فَلْيُعِنِّهُ عَلَيْهِ فَتَح 6050

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ
 وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَبَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَسَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيْتُ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنِّي سَبَّ
 الرِّجَالَ سَبَّوْا أَبَاهُ وَأُمَّهُ فَقَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ
 أَيْدِيكُمْ فَاطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَالْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ فَإِنْ
 كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ . صحيح مسلم رقم 1661

وهذه المصارحة والمفاتحة من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه كانت
 لعلمه صلى الله عليه وسلم بقبول الصحابي لذلك ، فالصراحة وسيلة مفيدة تختصر
 الوقت وتوفر الجهد وتبين المقصود بأيسر طريق ولكنها تكون فيما يُناسب من الأحوال
 والأشخاص .

وقد يعدل الداعية عن مصارحة المخطئ إذا كان في ذلك حصول مفسدة أكبر أو تفويت
 مصلحة أعلى كان يكون المخطئ صاحب جاه أو منصب لا يتقبل ذلك أو أن يكون في
 المصارحة إحراج بالغ للمخطئ أو يكون ذا حساسية زائدة تجعله ذا رد فعل سلبي ،
 ولاشك أن المصارحة مكروهة للمخطئ وثقيلة على نفسه لما فيها من المواجهة

والإحراج والظهور بمظهر الناقص في مقابل ظهور الناقد في موضع المستعلي والأستاذ . وكذلك فإنه يجب التنبيه إلى أن أسلوب " اللفّ والدوران " قد يكون له سلبيات مضاعفة تفوق المصارحة أحيانا وذلك لما قد يشعر به المخطئ من الاستغفال والتلاعب ويتضايق من الإشارات الخفية لشعوره بأنها غمز وإيذاء مبطن ثم إن التوجيه قد لا يصل أصلا لخفاء المقصود وبعده عن ذهن المخطئ فيمضي في خطئه قُدّما . وعموما فإن الأشخاص يتفاوتون في التقبّل والأسلوب الأمثل المناسب لكل منهم ، ولكن يبقى أن حسن الخلق في العرض والتوجيه له الأثر الأكبر في نجاح المهمّة .

(36) إقناع المخطئ

إن السعي لمناقشة المخطئ بغية إقناعه يؤدي إلى إزالة الحاجز الضبابي الذي يعترى بصيرته فيعود إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ومن أمثلة ما ورد في السنة بشأن هذا ما رواه الطبراني رحمه الله تعالى في معجمه الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه أن غلاما شابا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في الزنا فصاح [به] الناس فقال [النبى صلى الله عليه وسلم] : مه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقره ، ادن ، فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتجبه لأُمَّك ؟ قال : لا ، قال وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . أتجبه لابنتك ؟ قال : لا قال وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتجبه لأختك ؟ ، قال : لا قال وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم ، أتجبه لعمتك ؟ قال وكذلك الناس لا يحبونه لعماتهم . فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم كفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه . المعجم الكبير للطبراني 7679 و 7759 ومنه الزيادتان بين الأقواس

(37) إفهام المخطئ بأنّ عذره الزائف غير مقبول

يحاول بعض المخطئين تقديم مبررات مختلقة وغير مقبولة وخصوصا إذا انكشف أمرهم بغتة على حين غرة منهم بل قد يبدو على بعضهم التلعثم وهم ينطقون بالعذر الزائف وخصوصا الذين لا يُحسنون الكذب لنقاء في سرائرهم . فكيف يتصرّف المرابي يا تُرى إذا صادف مثل هذا الموقف من أحد المخطئين ؟ إن القصة التالية تبين موقفا رائعا ودقيقا للنبي صلى الله عليه وسلم مع أحد أصحابه ويظهر من خلال القصة المتابعة المستمّرة من المرابي للمخطئ إلى حين تخليه عن موقفه الخاطئ :

عن خوّات بن جبير رضي الله عنه قال نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران (موضع بقرب مكة) قال فخرجت من خبائي فإذا نسوة يتحدثن فأعجبني فرجعت فاستخرجت عييتي (وعاء توضع فيه الثياب) فاستخرجت منها حُلة فلبستها وجئت فجلست معهن فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال:أبا عبد الله!! أي أنه يُنكر عليه جلوسه مع هؤلاء النسوة الأجنبية فلما رأيت رسول الله هبته واختلطت تلعثم يبحث عن عذر ، قلت يا رسول الله جمل لي بشرد وأنا أبتغي له قيدا أتى رضي الله عنه بعذر غير صحيح ليبرر به فعله فمضى واتبعته فألقى إليّ رداءه ودخل الأراك كاني أنظر إلى بياض متنه في خضرة الأراك ، فقضى حاجته وتوضأ وأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره ، فقال : أبا عبد الله ما فعل شراد جملك ؟ ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال : السلام عليك أبا عبد الله ، ما فعل شراد ذلك الجمل ؟ فلما رأيت ذلك تعجّلت إلى المدينة واجتنبت المسجد ومجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فلما طال ذلك تحيّنت ساعة خلوة المسجد فخرجت إلى المسجد وقمت أصلي وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حُجره فجاء فصلى ركعتين خفيفتين وطوّلت رجاء

أن يذهب ويدعني ، فقال : طوّل أبا عبد الله ما شئت أن تطوّل فلست قائما حتى تنصرف ، فقلت في نفسي : والله لا اعتذرني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبترئن صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفت قال : السلام عليك أبا عبد الله ، ما فعل شراد جملك ؟ فقلت والذي بعثك بالحقّ ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت . فقال : رحمك الله ثلاثا ، ثم لم يعد لشيء مما كان . قال الهيثمي رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة . المجمع 9/401 وبالرجوع إلى المعجم الكبير للطبراني 4/203 تبين أن الرواية من طريق زيد بن أسلم يحدّث أن خوات بن جبير قال نزلنا .. وفي ترجمة خوات رضي الله عنه في التهذيب : وأرسل عنه زيد بن أسلم وفي الإصابة في وفاة خوات سنة 40 أو 42 وأما زيد بن أسلم ففي السير أنه توفي سنة 136 وعلى ذلك فالسند منقطع

إنه درس رائع في التربية والخطبة الحكيمة المؤدية إلى النتيجة المطلوبة ، ويمكن أن يؤخذ من القصة أيضا الفوائد التالية :

- المربي صاحب الهيبة يستحي منه من لابس المعصية إذا مرّ به

- إن نظرات وسؤالات المربي - على وجازتها وقصرها - لها دلالاتها الكبيرة وأثرها في النفوس

- عدم مناقشة العذر الملقق لحظة سماعه - مع وضوح الثغرة فيه - والإعراض عن صاحبه يكفي في إشعار المخطئ بعدم قبوله مما يدفعه للتوبة والاعتذار ، وهذا يؤخذ من قوله " فمضى " .

- المربي الجيد هو الذي يجعل المخطئ يشعر بالاستحياء منه الموجب للتوازي عنه ، والحاجة إليه الموجبة للإتيان إليه . ثم يتغلب الثاني على الأول .

- إن تغيير الموقف من المخطئ يبنني - في مثل هذه الحالة - على إظهار اعترافه ورجوعه عما حصل منه .

إن موقع المربي والقُدوة في نفس أصحابه كبير وعظيم ولومه لبعضهم أو تخطئته تقع بموقع وقد يلاحظ المربي مصلحة أشخاص آخرين في إنكاره على أحد أصحابه من أجل المنفعة العامة ولكن هذا لا يعني ترك الأثر السلبي الخاص باقيا بل يُمكن تداركه ومحو أثره بطرق منها المعاتبة من قِبَل التابع ولو بطريق واسطة كما فعل المغيرة بتوسيط عمر رضي الله عنهما وفي المقابل إيضاح الموقف والتأكيد على مكانة التابع وحسن الظنّ به من قِبَل القُدوة والمربي

(38) مراعاة ما هو مركز في الطبيعة والحبلة البشرية

ومن ذلك غيرة النساء وخصوصا بين الضرائر فإن بعضهن قد تخطئ خطأ لو أخطأه إنسان في الأحوال العادية لكان التعامل معه بطريقة مختلفة تماما . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي مسألة الغيرة بين نسائه وما ينتج عنها من أخطاء مراعاة خاصة يظهر منها الصبر والحلم مع العدل والإنصاف ومن أمثلة ذلك : ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أنس قال قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نساءه فلرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة (إناء واسع) فيها طعام فصربت النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانقلقت فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلحق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة

وَيَقُولُ غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَسَنَ الْحَادِمَ حَتَّى أَتَيْتِي بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَتْ
الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَيَّ الَّتِي كَسَرْتُ صَحْفَتَهَا وَأَمْسَكَتُ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرْتُ
فتح 5225

وفي رواية النسائي كتاب عشرة النساء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا يَعْنِي أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ
لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُنْزَرَةً بِكِبْسَاءٍ وَمَعَهَا
فَهْرٌ (أي حجر) فَفَلَقْتُ بِهِ الصَّحْفَةَ فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ فَلَاقِيِي
الصَّحْفَةَ وَيَقُولُ كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ أَحَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحْفَةَ
عَائِشَةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ

وفي رواية الدررمة كتاب البيوع باب من كسر شيئاً فعليه مثله عن أنس قَالَ أَهْدَى بَعْضُ
أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ قِصْعَةً فِيهَا تَرِيدٌ وَهُوَ فِي بَيْتِ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ
فَصَرَبَتْ الْقِصْعَةَ فَانْكَسَرَتْ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ التَّرِيدَ فَيَرُدُّهُ فِي
الصَّحْفَةِ وَهُوَ يَقُولُ كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ ..

وغيرة المرأة أمر مركز فيها يحملها على أمور شديدة ويحول بينها وبين التبصر بعواقب
الأمر

حتى قيل : إن المرأة إذا غارت لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه .

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في رياض السنّة العطرة والاطّلاع على شيء من الأساليب النبوية في
التعامل مع أخطاء الناس يحسن قبل مغادرة الموضوع التذكير بالنقاط التالية :

- تصحيح الأخطاء واجب ومهم وهو من النصيحة في الدين ومن النهي عن المنكر ولكنه
ليس كل الواجب فإن الدين ليس نهياً عن المنكر فحسب وإنما هو أمر بالمعروف أيضاً .

- ليست التربية هي تصحيح الأخطاء فقط وإنما هي تلقين وتعليم وعرض لمبادئ الدين
وأحكام الشريعة أيضاً واستعمال الوسائل المختلفة لتأسيس التصورات وتثبيتها في
النفوس من التربية بالقُدوة والموعظة والقصة والحدث وغيرها ، ومن هنا يتبين قصور
بعض الآباء والأمهات والمدرسين والمربين بتوجيه جلّ اهتمامهم إلى معالجة الأخطاء
ومتابعة الانحرافات دون ترجيح الاهتمام بتعليم المبادئ والأسس والمبادرة بالتحصين
الذي يمنع وقوع الانحرافات والأخطاء ويبادرها قبل حدوثها أو يقلل منها .

- يتضح مما سبق ذكره من المواقف والأحداث تنوع الأساليب النبوية في التعامل مع
الأخطاء وأن ذلك قد اختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ومن كان لديه فقه وأراد
الاقتداء قاس النظر على النظر والشبه على الشبه فيما يمرّ به من مواقف وأحداث
ليتوصّل إلى الأسلوب المناسب للحالة المعيّنة .

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شرّ أنفسنا ويجعلنا مفاتيح
للخير مغاليق للشرّ وأن يهدينا ويهدي بنا إنه سميع قريب مجيب وهو نعم المولى ونعم
النصير والهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله على النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .